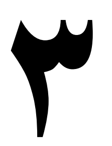


170

إسهامات عبد الوهاب أبو ملحة المتعددة (*)

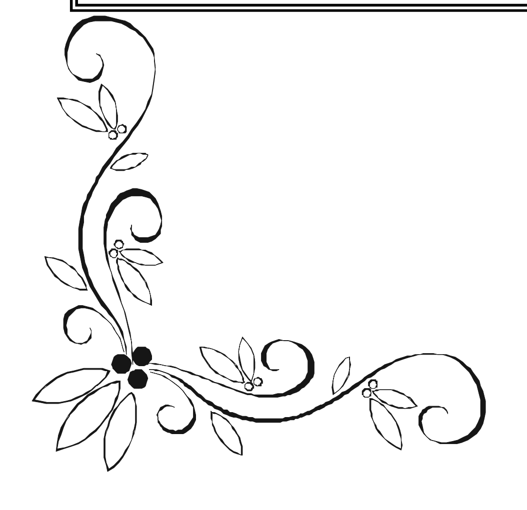
أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب : عبد الوهاب أبو ملحة في جنوبي البلاد السعودية (١٣٤٠ - ١٣٧٤هـ / ١٩٢١ - ١٩٥٤م)، (دراسة تاريخية وثائقية)، لغيثان بن جريس، (الطبعة الثانية) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م)، ص ص ٨٥ - ١٣٨.



الفصل الثالث:

إسهامات عبد الوهاب أبو ملحة المتعددة



فهرس الفصل الثالث

لم يكن أبو ملحة مسئولاً عن إدارة المال فحسب ، وإنما كانت له جهود أخرى عديدة يصعب إيرادها في صفحات محدودة ، أو في جزء من كتاب[١] ، ولكي نستكمل حلقات هذه الدراسة وجب علينا الإشارة إلى بعض إنجازاته المختلفة ، وهي على النحو التالي :



أولاً : ولاؤه لوطنه وولاة أمره :

هناك عشرات الوثائق التي تترجم ولاء أبو ملحة لبلاده وولاة أمره ، ففي وثيقة بتاريخ (١٣٤٠/١٢/٢٤هـ) من الملك عبد العزيز إليه يشكره على ما بذل من جهود حسنه في مناصرته أثناء دخوله عسير ، وأخبره أن ابنه الأمير فيصل قادم إليهم ، ثم قال : " **...عرفت عن وصول الطارفة ، وما أبديتموه معهم من لازم ، وما صرفتموه عليهم وأقرضتموه إياهم هذا شيء ثابت عندنا ، ومقامك عارفينه ، وكل أمر تعمله ومصرف تصرفه وقرض تقرضه ثابت عندنا ومحسوب علينا ، وبحول الله وقوته ما يروح لك شيْ ، بل إن شاء الله تحمد عاقبة أعمالك وأفعالك الطيبة ، وكل جميل لدينا ما يضيع إن شاء الله ...**" [٢]

---

[١] معرفة جزء من شيء أحسن من ترك كل شيء ، وهذا ديدننا في هذه الدراسة . فالشيخ أبو ملحة يستحق أن يصدر له كتاب من عدة مجلدات ، لأن وثائق المالية التي كان رئيسها أكثر من ثلاثة عقود يوجد بها من التواريخ والتفصيلات التاريخية والحضارية الخاصة بالمناطق الجنوبية الشيء الكثير ، بل إن مادة تلك الوثائق تصور تاريخ الأوطان الجنوبية في محاور ومجالات عديدة . وإذا كان هذا الفصل يدور حول إسهامات أبو ملحة المتنوعة ، فهذه الإنجازات ونتائجها جزء من تاريخ عسير وجازان ونجران والقنفذة في العصر الحديث والمعاصر .

[٢] م. ابن جريس ، الوثاق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٣٠ ، ص٢٠٨ ــ ٢٠٩ . وللاطلاع على بدايات دخول الملك عبد العزيز إلى بلاد عسير ، انظر ، عبد الله العثمين تاريخ المملكة العربية السعودية (١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ج٢ ، ص١٥ ، ١٧٣ ــ ١٨١ ، آل زلفه ، عسير ، ص١٧ وما بعدها ، ابن جريس ، عسير في عصر الملك عبد العزيز ، ص ١٩ وما بعدها .

ونستخلص من هذه الوثيقة بعض الدروس، مثل :

أ ـــ صدق أبو ملحة وتفانيه في مناصرة الملك عبد العزيز عندما واجهت حكومة الملك المؤسس مظاهر التمرد في بلاد عسير في نهاية العقد الرابع من القرن(١٤هـــ/٢٠م)[١].

ب ـــ عرف الملك بعض الموالين والمناصرين لحكمه وعلى رأسهم أبو ملحة الذي لم يألوا جهداً في إخلاصه لجلالته .

ج ـــ وفاءِ الملك عبد العزيز وحفظ حقوق من أحسن إليه ، وهذا ما حدث مع الشيخ أبو ملحة فقد أكرمه حتى صار من رجاله المقربين الخاصين أثناء فترة التأسيس والبناء[٢].

ومما يؤكد ولاء عبد الوهاب أبو ملحة أثناء بدايات الحكم السعودي الحديث في عسير خطاب من الملك عبد العزيز إلى والده الإمام عبد الرحمن الفيصل في (١٣٤١/٢/٢٥هـــ) يقول فيه "... **أبو ملحة مقامه معنا ومع المسلمين مقام طيب** .."[٣] وفي وثيقة أخرى بنفس التاريخ من الملك يشكر فيها أبو ملحة على تواصله المستمر وتفانيه فيما يحقق الوحدة وجمع الكلمة [٤]. وفي خطاب ثالث بتاريخ (١٣٤١/١٠/١٠هـــ) يؤكد ثقته فيه ، ويدرك ما يكنه من ولاء وصدق

---

[١] المراجع نفسها .

[٢] هناك عشرات الرجال في أنحاء البلاد السعودية وبخاصة في جنوبها كانوا على صلات قوية بالملك، بل كانوا من المساهمين الرئيسيين في تأسيس وبناء هذه الدولة الإسلامية العريقة . ونأمل أن نرى من طلابنا في برامج الدراسات العليا في جامعاتنا المحلية من يدرس تاريخ وإنجازات أولئك الرجال الذين كان لهم جهود تذكر فتشكر .

[٣] م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٣٠ ، ص٢١٠ــ ٢١١ .

[٤] المصدر نفسه ، ج٣٠ ، ٢١٢ ـــ٢١٣ . وفي خطاب آخر من الإمام عبد العزيز بتاريخ (١٣٤١/١٥/٢هـ) يشكر أبو ملحة على جهوده وإخلاصه ويقظته في متابعته لسير الأحداث في جنوبي البلاد . المصدر: م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٣٠ ، ص٢١٤ــ٢١٧ .

للدولة فيقول "... **نجزم أنكم طارفتنا بها الطرف** [١] ، **وأنكم أحرص منا في جميع الأحوال ، ولا بعدك حسوف بارك الله فيك ...** "[٢] .

ونلحظ أن الملك عبد العزيز كان دائماً حريصاً على إبلاغ أبو ملحة بالعديد من انتصاراته في نواح عديدة من الجزيرة العربية . ففي رسالة مطولة من الملك إليه في (١٣٤٣/٢/٢٣هـ) يذكر له الجيوش التي أرسلها إلى شرق الأردن للتصدي لبعض الأحداث هناك ، كما فصل له الحديث عن الجيوش التي دخلت الطائف واستولت عليه ، وكيف خرج الشريف الحسين بن علي من مكة المكرمة إلى جدة ، ثم يقول : " **.. ولعلمنا بحرصكم على ذلك وشفقتكم عليه أحببنا بشارتكم فله تعالى الحمد والمنة.**" [٣]. وفي وثيقة بتاريخ (١٣٤٥/١٢/٢٧هـ) من الأمير فيصل بن عبد العزيز إلى أبو ملحة يقول فيها "... **كل أعمالك موافقة للولاية ، واجتهادك وضبطك بيت المال كان معلوم عندنا ، وعلومك طيبة ، نرجو لكم الإعانة والتوفيق ...**" [٤].

وولاة الأمر لا يترددون في إبلاغ بعض موظفي الدولة عن صدق وولاء أبو ملحة[٥]، ففي خطاب من الملك عبد العزيز إلى الأمير عبد الله العسكر في عسير

---

(١) أي في الأجزاء الجنوبية من البلاد السعودية .

(٢) م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٣٢ ، ص٢٠٢ ــ٢٠٣ . ونجد الملك عبد العزيز كان على صلة مباشرة بأبي ملحة ، فيرسل له دائماً بعض الهدايا المختلفة مثل الألبسة وغيرها . المصدر نفسه ، ج٣٢ ، ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣ . وللمزيد من رسائل الملك عبد العزيز إلى الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة انظر: الملحق رقم (١) في ملاحق الوثائق بهذا الكتاب .

(٣) م . ابن جريس الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٣٤ ، ص ١٠٥ــ ١٠٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٣٤ ، ١٠٩ــ١١٠ .

(٥) من يقرأ شخصية الملك عبد العزيز وعلاقته مع رجاله الذين ساندوه في البناء والتأسيس يجده امتاز بالصدق والوفاء والإخلاص معهم ، بل يبذل كل ما في وسعه للقرب منهم والسماع من أقوالهم ، بل يستشيرهم في كثير من الأمور الهامة والحساسة . ولم يكن عبد الوهاب أبو ملحة الوحيد في جنوبي السعودية بل كان هناك رجال آخرون على صلات مباشرة بالملك فيراسلهم ويشاركهم في كثير من القضايا . ونأمل أن نرى دراسة شاملة لكل الرجال الذين عاصروا أبو ملحة في الجنوب وكان لهم أدواراً عظيمة في مرحلة التأسيس والبناء للدولة السعودية الحديثة .

في (١٣٤٦/٤/٢هـ) يؤكد له على ثقته في أبو ملحة فيقول " .. **تدري أن الناس لهم مقاصد وأهواء وأغراض ، وعبد الوهاب ماله من المقاصد شيء ، والذي ينقم عليه ناقم على ، وعبد الوهاب هو غير ، ولا راضي فيه من خاص ولا من عام ، وإن كان انتقادكم عليه أنه يحب الطمع فتدرون أن ما هنا أحد من الناس ما يحب الطمع ، وعبد الوهاب أخبره وأبخصه ولا لا حقني منه شك ..** " [(١)] .

والوثائق مليئة بالبراهين التي تؤكد على إخلاص أبو ملحة لوطنه ففي رسالة من الملك إليه بتاريخ (١٣٤٦/٤/٢٢هـ) يقول له فيها "... **كتابكم المؤرخ (٢/صفر/١٣٤٦هـ) وصل ، وما ذكرتم به عندنا معلوم ، خصوصاً ما ذكرتم عن محبتكم وإخلاصكم بارك الله فيكم، وهذا الظن بكم ، وعلى كل حال أنتم عزيزين عندنا...**" [(٢)] . وفي خطاب آخر في عام (١٣٤٧هـ) يقول له :"...**أنت ما أنت مثل الناس ، أنت واحد منا ومحسوب علينا ...** "[(٣)] . والمتأمل في مفردات هذه الخطابات يجدها دقيقة ومؤثرة على النفس ، بل يلحظ فيها الوفاء والصدق الذي يصدر من الملك تجاه أحد رجاله الأوفياء المخلصين " [(٤)] .

وفي وثيقة من الملك إلى عبد الوهاب بتاريخ (١٣٥٢/٩/٢٨هـ) يذكر انطباعه عنه مع الإشارة إلى بعض صفاته فقال :"... **بارك الله فيك تعرف أنك**

---

(١) م. ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٣٢ ، ص١١٧ــ١٢٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣٢ ، ص٢١٧ــ٢١٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٣٢ ، ص١٠٢ــ١٠٤ .

(٤) وهذا الأسلوب من الملك عبد العزيز لمسناه في كثير من خطاباته ووثائقه المرسلة إلى رجاله المهمين المؤثرين في جميع أنحاء البلاد السعودية .

مثل الروح ، وأفعالك كلها نعرفها جميلة، ولا أنت من اللي يترهمون يقال افعل كذا..افعل كذا.." [١].

وفي برقية بتاريخ (١٣٥٣/٦/١٥هـ) من الملك أيضاً يذكر فيها "... **أنا ما عندي فيك شك..وهذا شيء ثابت عندي ، ومعلوم من طرفك وممنون ولا عندي فيك إشكال..**" [٢].

وفي برقيات وخطابات عديدة من الأمير سعود يشير فيها إلى علمه التام بوفاء وولاء الشيخ أبو ملحة [٣] ، ففي وثيقة بتاريخ (١٣٥٢/١٢/١٧هـ) يحثة على الاهتمام والانتباه لكل ما يحيط به ، ولا عنده شك في إخلاصه ، ثم يقول: "**... نظموا أموركم وتحملوا واجتهدوا وإن شاء الله تخرج البركة بصلاح نيتكم ... واجتهادك مع حكومتك ... وهذا مشهود منك بالعاجل والآجل .. وأنت محل النفس في جميع الحالات، وبالله ثم بك الكفاية ..**" [٤] . وفي رسالة أخرى من

---

(١) يقصد بذلك : أي لست عاجزاً عن اتخاذ قرارك بنفسك ، وإنما لديك الاستقلالية في الرأي والتفكير. المصدر : م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٣٤ ، ص١٢٤ـ١٢٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣٩ ، ص٩٣ ، ٩٦ . ونجد في وثيقة أخرى من الأمير سعود إلى عبد الوهاب في (١٣٥٣/٣/١١هـ) يطلب منه المدد العسكري والمادي أثناء حرب نجران ، ويشير إلى أنه على يقين تام من إخلاصه فيقول:"... أجزم لو تسوق نفسك وعيالك فيما يحملنا ما ذخرت .." [٢]. المصدر : م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج١ ، ص٣ .

(٣) هناك مئات الوثائق المرسلة من الملوك عبد العزيز وولديه سعود وفيصل إلى بعض الأعيان والوجهاء في جنوبي البلاد السعودية الحديثة ، وجميعها تدور حول الآليات والخطوات المتبعة في ضم هذه الأجزاء تحت لواء الدولة السعودية الحديثة ، بل يوجد في هذه الوثائق تفصيلات كثيرة عن التاريخ السياسي والحضاري لهذه البلاد . ونأمل أن نرى من الباحثين وطلاب الدراسات العليا من يدرس تواريخ هذه البلدان الجنوبية في عصور هؤلاء الملوك الثلاثة .

(٤) م . ابن جريس الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٣٣ ، ص٩٥ ـ٩٦ . وفي خطاب أيضاً من الأمير سعود إلى أبو ملحة في (١٣٥٣/٥/٥هـ) يقول فيه :".. وما أشرتم إليه عما قمتم به ... فهذا الأمل بكم وهذا لا يستكثر من مثلكم ...." المصدر : م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٢٩ ، ص٣٠ـ٣١ .

الأمير سعود بتاريخ (١٩/٨/١٣٥٦هـ) قال فيها : "... **الله يبارك فيك ، ونحن جازمين أن ما بعد اجتهادك حسوفه ...**" [١] .

والثابت أن أبو ملحة كان قدوة في وفائه وإخلاصه لبلاده وولاة أمره ، بل كان على قدر كبير من الذكاء والفطنة التي ساعدته للظهور على مسرح أحداث القرن (١٤هـ/٢٠م) ، بل هو ناجح بامتياز في تعامله مع غيره وكسب ثقتهم وبخاصة حكام البلاد الذين كان على صلة مباشرة بهم [٢] . وهذا ما أكده أحد من رآه وعرفه فقال عنه:"**...لم يجمع هؤلاء ـ يقصد الحكام والمسؤولين والأعيان ـ على الثقة والاحترام لعبد الوهاب أبو ملحة ، إلا لأن الرجل كان صحيح الظاهر والباطن ، شديد الإخلاص في كل أعماله وأقواله ، وخاصة مع الحكم السعودي لدرجة أن الوثائق تثبت أن الملك عبد العزيز (رحمه الله) كان في بعض الأحيان يوجه إليه الخطاب ، كما لو كان من أقرب أصدقائه إليه ، لا من رجاله فقط ..**" [٣]



ثانياً : إسهاماته التاريخية والحضارية المتنوعة :

١. إسهاماته العسكرية والحربية :

بدأت نشاطات أبوملحة العسكرية عندما قدم ماله ونفسه وأهله في حماية حامية ابن سعود التي طُردت من أبها على أيدي بعض العسيريين عام

---

(١) المصدر نفسه ، ج٢٨ ، ص ٢٣٠ـ٢٣١ .

(٢) عشرات الوثائق غير المنشورة تصور مدى العلاقات القوية بين أبو ملحة وحكام البلاد وكبار رجال الدولة . للمزيد من الأمثلة انظر: الفصلين الرابع والخامس ، وملحق الوثائق من هذا الكتاب.

(٣) انظر الشهادة الثالثة في الفصل السادس من هذا الكتاب للأستاذ حسين بن ظافر الأشول. كما يوجد في حوزتنا مئات الوثائق التي تؤكد ما ذهب إليه صاحب هذه الشهادة . م . ابن جريس الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٤٦ ، ص ١ـ١٢٥ .

(١٣٤٠هـ/١٩٢١م) ، وقد حل بداره وجزء من عقاراته بعض الخراب والدمار من قبل الطرف المعادي للملك عبد العزيز وحاميته [١] ، وفي العام نفسه انضم إلى الحملة الحربية التي جاءت بقيادة الأمير فيصل بن عبد العزيز من أجل السيطرة على بلاد عسير وإدخالها في حوزة الحكم السعودي[٢] . وإذا كان الملك عبد العزيز أوكل إلى أبو ملحة إدارات المال في الجنوب[٣] ، فذلك لم يمنعه من الإسهام في توطيد الأمن في البلاد ، والاشتراك في العديد من الحروب من أجل توحيد أجزاء الوطن وجمع كلمة الأمة تحت مظلة الملك عبد العزيز (يرحمه الله).

وتحرير ميناء القنفذة من جيوش الشريف الحسين بن علي في عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) كانت من أوائل نشاطات أبو ملحة العسكرية ، ويتضح ذلك في رسالة من الملك عبد العزيز إليه في (١٩/٥/١٣٤٣هـ) ذكر له فيها علمه بوصوله إلى القنفذة والسيطرة عليها ، واستلام ابن عجاج إمارتها وابن ماضي

---

(١) **للمزيد من التفصيلات عن ثورة العسيريين ضد ابن سعود وحكومته في أبها في بداية العقد الخامس من القرن الهجري الماضي ، انظر: العقيلي ، تاريخ المخلاف ، ج١ ، ص ٥٤١ـ٥٥٠، آل زلفه ، عسير ، ص٤٦ ، عبد الله أبو ملحة ، ص٣٩٠ ، انظر أيضا الفصل الأول من هذا الكتاب ، وكذلك الشهادة رقم (٢) في الفصل السادس من الكتاب نفسه .**

(٢) **المصادر نفسها . بلاد عسير منذ عام (١٣٣٨ـ١٣٤١هـ/١٩١٩ـ١٩٢٢م) جديرة بالبحث والدراسة وتستحق إلى أن تكون موضوعاً لرسالة ماجستير أو دكتوراة حبذا أن نرى أحد طلابنا أو طالباتنا في قسم الدراسات العليا بجامعة الملك خالد من يتخذ هذا الموضوع عنواناً لأطروحته ، أو أطروحتها العلمية.**

(٣) **للمزيد من التفصيلات انظر الفصلين الأول والثاني من هذا الكتاب .**

ماليتها ، ثم قال :"... **والذي قبضت من ابن حمزة [١]. من السلاح وغيره صار معلوم ..**" [٢] .

كما شارك في الصراع العسكري بين ابن سعود والإدريسي في جازان[٣] ، وفي رسالة بتاريخ (١٣٤٤/٨/١٣هـ) من الملك عبد العزيز إلى أبو ملحة وابن دليم ، وابن مشيط ، وعمر بن عسكر ، حول الحسن الإدريسي الذي يرغب الصلح معه ، ولا يتطلع إلى الاصطدام به [٤] لكنه لا يرضى منه التجاوز والخطأ ، فقال: "**... حنا ننتظر الجواب منكم إن حصل الاتفاق مع الحسن وسكون الأحوال ... وهذا الذي نود ، لأجل مالنا مطامع في شيء إلا بقاهم وسلامة**

(١) ابن حمزة : هو أمير القنفذة للشريف الحسين بن علي ، ويدعى عبد الله بن حمزة الفعر ، وهو آخر أمراء الأشراف على القنفذه ، انظر : ابن جريس ، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ، ص١٣٦ وما بعدها .

(٢) م. ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٣٢ ، ص١٤٤ـ١٤٥. وللمزيد من التفصيلات عن تاريخ دخول القنفذة في حوزة ابن سعود ، انظر: عبد الله بن مسفر. السراج المنير في سيرة أمراء عسير (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ص١٣٨ ، كما اطلعنا على العديد من الوثائق غير المنشورة والمرسلة من الملك عبد العزيز إلى أبو ملحة بشأن ضبط أحوال القنفذة عسكرياً وإدارياً ومالياً . م. ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٢٠ ، ص٨٧. ج٢١ ، ص٢٢٩ .

(٣) للمزيد من التفصيلات عن تاريخ الأدارسة في منطقة جازان ، وكيف دخلت بلادهم تحت حكم الملك عبد العزيز ، انظر: العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج٢ ، ص٦١٩ وما بعدها ، الجميعي ، الأدارسة في المخلاف السليماني وعسير ، ص٦ وما بعدها ، أميرة علي المداح ، المخلاف السليماني تحت حكم الأدارسة . رسالة دكتوراة مقدمة لقسم التاريخ الإسلامي ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى (١٤٠٦هـ/١٩٨٥م) ، ص٥٠ وما بعدها .

(٤) هناك العديد من الرسائل المرسلة من الملك عبد العزيز إلى أبو ملحة ورفاقه آنفي الذكر في عام (١٣٤٤هـ/١٩٢٥م) وجميعها تدور حول الحسن الإدريسي في جازان ، وعدم الرغبة في محاربته إلا إذا اضطرته الظروف إلى ذلك . م . ابن جريس الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٤٦، ص٥١ ، ٦٨ ، ٦٩ .

بلادهم من أن تصير للغير[1]. مخصوص المجاورة لنا منها، لأجل هذه أمور تخل علينا وتلحق بشرفنا ، فأنتم أفطنوا لما ذكرنا لكم ، وإذا حصل الركود والسكون وعدم شي يخل علينا ، وعلى حدودنا وشرفنا فهو المطلوب ، وإلا عرفونا إذا غير ذلك، والحمد لله رب العالمين في ظروف خمسة أيام والجند عندكم، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وحنا ننتظر الجواب منكم ، يكون معلوم..."[2].

لكن الإدريسي لم يهتد إلى الصلح مع ابن سعود ، عندئذٍ كان لابد من محاربته، ومن ثم كلف أبو ملحة بقيادة قبائل عسير لمحاربة الأدارسة عام (١٣٥٠هـ/١٩٣٢م) ، وذلك عندما صدر الأمر بتجهيز حملة عسكرية لدحرهم والقضاء عليهم ، فشكل جيشاً عدده حوالي (٣٥٠٠) مقاتل ، وساروا جميعاً تحت قيادة عبد الوهاب أبو ملحة ، ومعه عمر بن عبد العزيز العسكر حتى وصلوا عاصمة الإدريسي صبيا فاستولوا عليها في (١٣٥٠/٢/٢٦هـ) ، ثم واصلوا سيرهم وانضموا إلى المدد الذي جاء من الطائف بقيادة الشريف خالد بن لؤي وابنه سعد،

---

(١) أي بقاء الأدارسة في حكم بلادهم جازان ، ولا يصير أجزاء منها تحت أي نفوذ آخر وبخاصة دولة اليمن . وللمزيد من الصلات والصراعات بين الأدارسة وحكومة اليمن ، انظر: العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج٢ ، ص٧٢٢ وما بعدها ، أميرة المداح ، المخلاف السليماني ، ص٩٢ وما بعدها .

(٢) م . ابن جريس الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٣٢ ، ص١٤٧–١٤٨ . ج٤٦ ، ص٦٨، للمزيد من التفصيلات عن الأحداث التي وقعت بين الملك عبد العزيز والإدريسي قبل دخول الأخير تحت مظلة ابن سعود انظر: الجميعي ، الأدراسة ، ص٨ وما بعدها ، أميرة المداح ، المخلاف السليماني ، ص٣٧٣ وما بعدها . وهناك رسالة أخرى من الملك عبد العزيز إلى أبو ملحة ورفاقه بتاريخ (١٣٤٤/٦/٢١هـ) ليست بعيدة في فحواه عن الرسالة السابقة ، لكن ذكر إمام اليمن وعلاقته بالأدارسة وردت في هذه الرسالة بشكل واضح ، وأن الملك عبد العزيز لن يرضى بأي تجاوزات على بلاده . المصدر: م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٣٢ ، ص١٣٨– ١٣٩ .

وخاضوا جميعهم معركة حامية الوطيس في بلدة المضايا[١] ، وحققوا في تلك المعركة بعض الانتصارات ، لكن الشيخ أبو ملحة أصيب برصاصة اخترقت فخذه الأيمن ، وذلك في شهر شعبان (١٣٥٠هـ/١٩٣٢م) ، ثم وصل إليهم مدد عسكري كبير من الرياض بقيادة الأمير عبد العزيز بن مساعد [٢] . ويتضح ذلك في رسالة بتاريخ (١٣٥١/٨/١٩هـ من الملك عبد العزيز إلى أبو ملحة يخبره فيها بقدوم ذلك المدد فقال فيها : "... **من قبل عبد العزيز بن مساعد واصلكم إن شاء الله تمتثلون أمره على كل حال مادام هو عندكم في زهاب وغيره وتبينون له حاصلاتكم وموجوداتكم كلها ، المقصود لا تمانعون في شيء يأمر به عليكم من كل الأمور ، لأنه محل نفسي، وأحرص في جميع الأحوال دقيقها وجليلها ، هذا ما لزم تعريفه والسلام ...** " [٣].

وفي أواخر شهر شوال عام (١٣٥١هـ/١٩٣٣م) استطاعت تلك الجيوش مجتمعه من القضا على إمارة الأدارسة ، وصارت عموم بلاد جازان تحت لواء المملكة العربية السعودية .[٤] .

ويذكر أن أبو ملحة كان له دور مهم في فكرة إنشاء أول جيش نظامي في عسير ، وذلك بأمر الملك عبد العزيز عندما أرسل له برقية سرية في (١٠/صفر/١٣٥٢هـ) يخبره عزمه على تكوين جيش مدرب في أبها حتى يكون

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن تلك المعركة انظر: العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج٢ ، ص ١٠١٤ ـ ١٠٢٩ ، آل زلفة ، عسير ، ص٧٨ ، عبد الله أبو ملحة ، ص٣٩٦ـ٣٩٧ .

(٢) المصادر نفسها .

(٣) م. ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٤٦ ، ص٤٣ . وللمزيد عن جهود أبو ملحة في حرب الأدارسة ، انظر الشهادتين رقم (٥ ، ٧) في الفصل السادس من هذا الكتاب .

(٤) للمزيد عن تاريخ جازان في العصر الحديث والمعاصر وبخاصة في عهد ظهور ونفوذ الإدارسة (١٢٤٥ـ ١٣٥٣هـ/١٨٢٩ـ١٩٣٤م) انظر: العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج٢ ، ص٦٢٥ وما بعدها، أميرة المداح ، المخلاف السليماني ، ص٦٥ وما بعدها .

مستعداً لصد أي تحركات عسكرية معادية في الجنوب وبخاصة من أمام اليمن ، ورأى الملك أن يكون عدد ذلك الجيش في حدود الألف جندي يساعدهم عند اللزوم الجيش الموجود في جازان ، وأبناء القبائل العسيرية ، والهدف من ذلك الاستغناء عن إرسال الجيوش العسكرية من نجد وما جاورها عند الحاجة إلى ذلك[١] .

ومن هذه البرقية يتضح لنا أمور عديدة من أهمها :

أ ــ أهمية رأي أبو ملحة عند الملك وبخاصة في أمر مهم مثل إنشاء قوة عسكرية يكون عملها الدفاع عن حوزة الدين والوطن . ونلحظ أن الملك حرص أن يكون الأمر سرياً جداً بينه وبين الشيخ عبد الوهاب ، وطلبه الرأي في عدة أمور مثل: العدد المقترح لهذا الجند ، ومقدار مصروفاتهم المالية ، ومن هو الأمير الذي يظنه أبو ملحة قادراً على ضبط الأمور في البلاد الجنوبية ، وحتى تكون الإجابة على هذه النقاط سرية للغاية ، قال له الملك : " ... **عرفونا عن ذلك مفصلاً ، ولكن يكون سرياً جداً لا يطلع أحد إن كان صغيراً وكبيراً لأن هذا ما أخبرت به أحد حتى ولدي فيصل ، وهذه أمور ضرورية بالحياة والموت ومصلحة المسلمين ، واحتياطاً للطوارئ تعرفنا مفصلاً وسريعاً .. "**[٢] .

---

(١) **م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هــ٢٠م) ج٣٣ ، ص١٤٦ــ١٤٧، ج٤٦، ١٢٠ . كان هناك عناء ونفقات باهظة تكلف الحكومة أثناء إرسال الإمدادات من نجد إلى عسير وجازان ونجران . وإنشاء مثل هذه القوة العسكرية قد تخفف بعض الأعباء على الدولة ، مع أن الأحداث التاريخية التي وقعت في الأجزاء الجنوبية أثبتت تتابع إرسال الإمدادات والجيوش خلال فترة البناء والتأسيس . هناك العديد من الوثائق والمصادر التي تؤكد صحة ما أشرنا إليه .**

(٢) **م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هــ/٢٠م) ج٤٦ ، ص١٢٠ . وللمزيد انظر: آل زلفه ، عسير ، ص٩٧ ، عبد الله أبو ملحة ، ص ٤٠٨ .**

ب ــ حرص الملك على سماع رأي أبو ملحة يعود أيضاً لأسباب منها : علم الأخير التام بالبلاد الجنوبية أرضاً وسكاناً ، واطلاعه على مجريات الأحداث السياسية والعسكرية في عسير وما جاورها قبل وأثناء وصول الحكم السعودي إلى المنطقة ، ثم صلته المباشرة بالنواحي الإدارية والمالية في أنحاء الجنوب ، بالإضافة إلى صدق هذا الرجل وولائه ، وجميع هذه العوامل جعلته أحد رجال السر الخاصين بالملك عبد العزيز ، فيشاوره في أمور وقضايا مهمة ، ويسمع لرأيه فيما يعود بالصالح العام على البلاد والعباد[١] .

وفي عامي (٥٢ـــ١٣٥٣هــ/٣٣ـــ١٩٣٤م) نجد أبو ملحة يبلي بلاءً حسناً في الحملة العسكرية السعودية التي قادها الأمير سعود بن عبد العزيز إلى نجران ضد القوى اليمنية التي مدت نفوذها إلى البلاد النجرانية[٢] . وهناك العديد من الوثائق المتبادلة بين أبو ملحة والملك عبد العزيز والأمير سعود ، وأطراف أخرى أسهمت في تلك الصدامات العسكرية ، وكان للشيخ عبد الوهاب النصيب الأكبر من الدعم والمشاركة في تلك الأحداث[٣]. ففي رسالة من الملك عبد العزيز

---

[١] هناك عشرات الوثائق المتبادلة بين الملك وأبو ملحة وجميعها تصب فيما يعود بالفائدة والخير الكثير على الأوطان . كما أن الملك عبد العزيز لا يتخذ قراراً في أمر مهم إلا بعد استشارة أهل الرأي والخبرة والإخلاص ، وهذا ديدنه في تأسيس دولته وبنائها وقد صدرت العديد من الكتب والدراسات التي عالجت ديموقراطيته في سياسة البلاد داخلياً وخارجياً .

[٢] لمزيد من التفصيلات عن الصراع بين ابن سعود والحكومة اليمنية في نجران في أوائل النصف الثاني من القرن (١٤هــ/٢٠م) ، انظر العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج٢ ، ص١١١١ـــ١١١٦ ، آل زلفه ، عسير ، ص ١٧٣ ـــ ١٩٧ .

[٣] هناك عشرات الوثائق غير المنشورة التي تدور في فلك هذا الموضوع . المصدر: م . ابن جريس، الوثائق العامة (ق١٤هــ/٢٠م) ج٤٦ ، ص١٢٦ـــ ٢٢٥ . وموضوع حملة الأمير سعود على نجران تستحق أن تكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية ، حبذا أن نرى باحثاً جاداً يتولاه بالبحث والتحليل .

إلى الشيخ عبد الوهاب في (١٣٥٢/٩/٢٨هـ) يقول له فيها"... **سعود هذا هو واصلك وحرصناه من طرفك، أما من طرف الرأي وتدبير الحرب فهذا ابدؤوه**[1]**، والله يوفق الجميع** .."[2]. وعند وصول الأمير سعود إلى خميس مشيط كتب إلى أبو ملحة رسالة في (١٣٥٢/١٢/١هـ) يحثه على بذل ما في وسعه لإمداد الجيوش المتجهة إلى نجران فقال : "... **حنا في خميس مشيط ، عبد الوهاب يا عصابة رأسي .. عندكم ثلاث مسائل لا بد منها ، ولا يمكن نمشي إلا وهي مسنعة**[3] **، وجيشنا بيجي القابلة**[4]**. أولاً: دراهم ها الناس ما هم ماشيين إلا بها** [5] **. والثانية : تزهيب عسير. والثالثة : إرسال الجنبخان**[6]**الذي لنجران مع زهابهم ، واليوم ما عاد يعتاز انخاك أزود مما نخيتك ، وانت على كل حال يدنا ورجلنا ، ولا لنا في ها المواطن ... إلا الله ثم أنت هذا الذي عندي** ..." [7].

وقد انبرى أبو ملحة في تلبية نداء الأمير سعود ، ولم يدخر أي جهد في دعم تلك الحملة وبخاصة في ما يتعلق بالسلاح والمواد الغذائية [8] ، فهاتان وثيقتان

---

(١) وردت في الأصل : أبدوه .

(٢) م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٣٤ ، ص١٢٤ ــ ١٢٥ . ونجد هناك رسالة من أبو ملحة إلى أمير عسير تركي السديري في (١٣٥٢/٨/٢٦هـ) يحثه على إرسال بعض وسائل النقل لحمل بعض الأسلحة إلى نجران ، فقال له : "... أنتم طال بقاك ترسلون بالعشرة الجمال لأجل نقلية المدافع والرشاشات ..." . م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٢٠ ، ص ٦٨ .

(٣) مسنعة : أي جاهزة .

(٤) بيجي القابلة : أي سوف يصل ليلة الغد .

(٥) هؤلاء الناس : يقصد المحاربين الذين سوف يذهبون إلى نجران .

(٦) الجنبخان : نوع من أنواع الأسلحة التقليدية القديمة مثل الرصاص وغيره .

(٧) م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ /٢٠م) ج٢٨ ، ص ٩١ ــ٩٢ .

(٨) لمزيد من التفصيلات عن جهود أبو ملحة في تمويل ومساندة حملة الأمير سعود على نجران ، انظر: آل زلفه، عسير ، ص ١٨٧ ــ ١٩٦ .

مرسلة من الشيخ عبد الوهاب إلى مدير المالية في أبها عبد الله بن إلياس يقول في الأولى التي بتاريخ (**١٣٥٢/١٢/٢هـ**) ": .. **بخصوص السلاح ما كان لديكم من الصالح ، بدائل وغيرها ، أرسلوها لنا بوجه السرعة ..**" [(١)]. وفي الرسالة الثانية بتاريخ (١٣٥٢/١٢/٣٠هـ) يقول "... **الآن حالاً وسريعاً أجمعوا ألف فرق ذرة وشعير بسعرها بحد السرعة ، وكلفوا في طحنها سريعاً في الخميس وفي أبها ، ودراهم من ثمن الجنية الذي عندكم، ولا تجعلونا مسؤولين في تعطيل المسلمين عن زهابهم ، لأنه ما وردنا أرزاق من ظهران ، إلا شيء ما ينظر ، الله الله سريعاً أحرصوا في ذلك ودمتم ..**" [(٢)].

وتستمر جهود أبو ملحة في إمداد الجيش بما يحتاج من السلاح والعتاد ، ويستحثه بعض الأمراء في مواصلة تلك الإمدادات ، فهذه رسالة بتاريخ (١٣٥٢/١٢/١٩هـ) من الأمير فيصل بن سعد بن عبد الرحمن الفيصل إلى الشيخ **عبد** الوهاب يقول له فيها : "... **من طرف الزهبة** [(٣)] **التي وصلتنا .. (٨) صناديق نيمس، واثني عشر صندوق محدش ، وصندوقين عصملي**[(٤)] ، **فرقنا على دائرتنا خمسة عشرة فشكة**[(٥)] ، **وخلصت النيمس والعصملي ، أما**

---

(١) م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٢٢ ، ص١٥٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢٢ ، ص١٥٣ . ونجد الأمير سعود يثني على أبو ملحة وبخاصة فيما يقوم به من جهود تمويله فيقول له في رسالة بتاريخ (١٣٥٢/١٢/١٨هـ) "... ولا بعدك حسوفه يا أبو عبد العزيز ، ومن طرف مقعادك ، والله إنك أعظم منا أجر.. أنت في جهاد وفي لوازم المسلمين.." . م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٢٨ ، ص٥٢ ــ٥٣ . للمزيد انظر: المصدر نفسه . ج٢٨ ، ١٣ ، ٥٠ــ٥١ ، ٩٣ ــ ١٠٤ . ج٣٣ ، ص٩٧ ــ ٩٨ ، ١٩٥ــ١٩٦ .

(٣) الزهبة : أي المؤن من العتاد والغذاء .

(٤) النيمس ، والمحدش ، والعصملي : أنواع بنادق كانت تستخدم في الحروب ، و هي في الغالب صناعة أوربية .

(٥) الفشكة : أي الرصاصة وجمعها فشك (رصاص) .

المحدش فبقي منها ... فأنتم الله الله أرسلوا لنا زهبة عجلة ...."[١] . وفي رسالة أخرى بتاريخ (١٣٥٢/١٢/٢١هـ) من الأمير فيصل بن سعد يخبره ببعض تحركاته في منطقة نجران فيقول : "**... من طرف حنا اليوم شدينا من الحصن .. وباكر إن شاء الله وحنا جاهزين على باقم نرجو الله تعالى أن يوفقنا وإياكم .. فأنتم إن شاء الله تمشون من عندكم ..**"[٢] .

وكان أبو ملحة يتنقل ما بين نجران وظهران وأبها وخميس مشيط من أجل متابعة سير الأمور الإدارية والمالية ، وتموين الجيوش العسكرية ، وفي أواخر شهر ذو الحجة (١٣٥٢هـ) رأى الأمير سعود ضرورة وجوده في ظهران الجنوب حتى يكون على مقربة من أرض المعركة في نجران ، فأرسل له رسالة بتاريخ (١٣٥٢/١٢/٢٣هـ) قال فيها "**.. من طرف قعادك أنت في ها الدرب**[٣] **ما هو موافق لأجل تعطل أمور المسلمين حالاً رتب جميع أمورك**

---

(١) م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٢٨ ، ص٥٤ـ٥٥ . وفي خطاب آخر من الأمير سعود إلى أبو ملحة في (١٣٥٢/١٢/١٩هـ) يقول فيه : "... إن كان عندكم زهبة ترسل لنا منها مقدار عشرة صناديق نيمس ، وعشرة أم خمس مع راعي الموتر ــ أي السيارة ــ لأجل جملة الجند ما بعد فرق عليهم ..." . م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٢٨ ، ص٥٨ ــ ٥٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣٥ ، ص٢٧ــ٢٨ . الحصن : ويطلق عليه أيضاً حصن الحماد ناحية ضمن منطقة نجران ولازال يحمل الاسم نفسه إلى الآن وهو المكان الذي خيم فيه الأمير سعود بن عبد العزيز أثناء حرب نجران . وباقم : من بلدان اليمن الواقعة بين صعدة وظهران ولازال أيضاً يحمل نفس الاسم إلى الآن . مشاهدات الباحث وانطباعاته في منطقة نجران خلال عام (١٤٣٢هـــ٢٠١١م) .

(٣) الدرب : حي من أحياء بلدة خميس مشيط قديماً ، ويقع إلى ناحية الغرب من عرق أبو ملحة ، ويوجد فيه اليوم العديد من المراكز التجارية الحديثة . مشاهدات الباحث في محافظة خميس مشيط خلال شهر ذو القعدة (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) .

وارجع لظهران لأجل أمور المسلمين التي ماهم استقامة إلا بالله ثم بك[١] ، **واحرصوا على العجلة وإنجاز أموركم.."** [٢].

وفي عام (١٣٥٣هـ/١٩٣٤م) تشير العديد من الوثائق إلى الجهود المتواصلة من أبو ملحة ففي خطاب من الأمير سعود إليه بتاريخ (١٣٥٣/١/٢٥هـ) يحثه على تجهيز وإمداد بعض رجال القبائل الجنوبية فيقول: **"... بعد ذلك من طرف عسير وبني شهر وشهران ورجال ألمع وغيرهم من الجند . عمدنا ولدنا عبد الله بن فيصل**[٣]**يصير قائد لهم وعرفناه بما يلزم ، وأمرناهم يستقيمون عنده ، ولابد مورد عليكم قوائم للزهاب فأنتم تعتمدون أمرهم وتسنعوهم بزهاب شهر كامل من كل شيء ، أحرصوا على إنجازهم بأسرع ما يمكن.."** [٤] .

وفي برقية بتاريخ (١٣٥٣/١/٢٩هـ) من عبد الوهاب إلى الملك يشرح له بعض الإمدادات العسكرية والغذائية التي أرسلت للأمير سعود وجيشه منذ ذهابهم من خميس مشيط إلى نجران فقال:"**.. سيدي من طرف الإرساليات من جميع الأشياء من**

---

(١) وردت في الأصل : بها

(٢) م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٣٤ ، ص١٢٦ــ١٢٧ . وفي وثيقة بتاريخ (١٣٥٣/١/٣هـ) من الأمير سعود إلى أبو ملحة يحثه على إرسال بعض العتاد فيقول:"... من قبل الفشك وصل ، والعيش والقهوة والدقيق ، وترى حنا خالين من جميع الأرزاق إن شاء الله تعجلونها علينا ، احرصوا غاية ما يكون .." . م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٣٢ ، ص ١٢٧ــ١٢٨ .

(٣) يقصد به : عبد الله بن فيصل بن عبد العزيز آل سعود .

(٤) م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٢٩، ص ١٦٣ــ١٦٤ . وفي رسالة أخرى من الأمير سعود بتاريخ (١٣٥٣/١/٢٦هـ) قال فيها: "... من قبل سعيد بن مشيط وجماعته ، وجرمان وجماعته رجال الحجر كافة ، والمتحمي ، وابن حامد ، وابن معدي وكافة عسير إن شاء الله تسنعون لهم زهابهم على العادة ، ولا يقصر عليهم شيء ، وتنظمون جميع السلاح الذي عندكم وتسلمونه لهم .. والبنادق التي تعطونهم أعطوهم معها زهبتها على العادة .." .

حين توجه سيدي ولي العهد من أبها والخميس من تاريخ (١٩/ذي الحجة/١٣٥٢هـ) إلى غاية (٢٧/المحرم /١٣٥٣هـ) : (٩٣٢) كيس رز ، و(٤٢) كيس سكر ، و(٣) كيس قهوة، و(٣) كيس هيل ، و(٥) صندوق شاهي ... والذي من ظهران لابد نبين مقداره عندما نصل ظهران من دقيق وقهوة وسمن . وأيضاً نبين لكم مقدار النقود التي[1] . سلمنا للجنود. ومن طرف الذي توجه من الزهبة (٩٠٣) صندوق مجنسة [2] لظهران ونجران ، من دون الذي فرق على الجنود في الخميس وفي أبها من الفشك . من طرف البترين المصدر هو (٩٧) برميل ، و(٨٩) صندوق ، و(٦) براميل زيت ، و(١٦) صندوق قاز ، و(٥) حمول ملح ، و(٤) صندوق دهن . وهذا الذي من الخميس وأبها ، أما موجود السلاح الذي عندنا في أبها فهو مائة وأربعة وثمانون بندق جميعها خاربة.."[3]

ونستخلص من هذه الوثيقة عدة أمور منها:

أ ـــ حرص أبو ملحة ودقته في إبلاغ الملك بالجهود المبذولة من مالية أبها وتوابعها في مساندة الجيوش التي ذهبت للدفاع عن حدود الوطن .

ب ـــ تنوع المصروفات التي إرسالها ، وغالبيتها من بلاد عسير وبخاصة من مناطق أبها وخميس مشيط وما حولها .

---

(١) التي : وردت في الأصل : الذي . المصدر نفسه ، ج٢٩ ، ص ٢١٨ـــ٢١٩ .

(٢) مجنسة : يقصد بها أنواع عديدة من الرصاص وبعض الأسلحة الأخرى.

(٣) م. ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٢٩ ، ص١٧٣ـــ١٧٤ . الجانب الاقتصادي والتمويلي للحروب التي وقعت في بلاد عسير ونجران وجازان وما حولها خلال عصر الملك عبد العزيز . موضوع تاريخي جيد يستحق البحث والدراسة ، ويوجد حوله مئات الوثائق غير المنشورة والجديرة بالجمع ثم القراءة والتحليل ، ونأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين من هذه النواحي الجنوبية من يتولاه بالبحث والتدوين .

ج ـــ ضخامة النفقات التي تم صرفها على الجنود في حوالي أربعين يوماً من (١٣٥٢/١٢/١٩هـــ ـــ ١٣٥٣/١/٢٧هـــ) .

ونلحظ أن القوة المعادية لابن سعود في نجران بدأت تتقهقر منذ عام (١٣٥٣هـــ/١٩٣٤م) ، ففي وثيقة بتاريخ (١٣٥٣/١/٨هـــ) من الأمير سعود إلى أبو ملحة يخبره ببعض الانتصارات التي حققوها على الأعداء فقال :" .. **نبشركم إن الله خذل العدو ، وقد انسحب جميع الجند الذين في نجران جميعهم** [١] ... **أحببنا بشارتكم بذلك** .." [٢].

لم يكن عمل الشيخ أبو ملحة مقصوراً على توفير الإمدادات الغذائية والحربية فحسب ، وإنما كان يتولى القيادة والإشراف على بعض المفارز العسكرية في عسير أو على الأطراف الشمالية من نجران ، وفي رسالة منه بتاريخ (١٣٥٣/٤/٢١هـــ) إلى الملك عبد العزيز يقول فيها : "... **يرفع المملوك لجلالتكم أنه بلغنا وصول سيدي الأمير محمد بيشة ، ونحن بظهران مرتبين**

---

(١) وردت في الأصل جميعه . وللمزيد عن الصراع بين الملك عبد العزيز وحكومة اليمن في نجران عام (٥٢ـــ١٣٥٣هـــ/٣٣ـــ١٩٣٤م) انظر : آل زلفه ، عسير ، ص١٧٣ ـــ١٩٧ ، العقيلي ، تاريخ المخلاف ، ج٢ ، ص ١١١١ وما بعدها .

(٢) م. ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـــ/٢٠م) ج٣٢ ، ص١٢٥ـــ١٢٦ . ونجد أمين مالية نجران (محمد سعيد كمال) يهنئ أبو ملحة بما تحقق من انتصارات في نجران فيرسل له رسالة في (١٣٥٣/١/٢٣هـــ) يقول:" ... سرني وصولكم إلى الخميس ، وأنتم بحال الصحة والعافية ... سرني على ما صار على يديكم من الفتوح الذي أخذتم فيه اليد البيضاء ، ولاشك أنها ستبقى تاريخاً لكم ... " . المصدر نفسه ، ج٢٩ ، ص١٦١ـــ١٦٢ . وفي خطاب آخر من الأمير سعود إلى الشيخ عبد الوهاب في (١٣٥٣/٢/١٥هـــ) يطمئنه على سير الأمور في نجران ويشكره على خطاباته المتواصلة وجهوده المباركة . المصدر نفسه ، ج٢٩ ، ص١٢١ـــ١٢٢ .

الحدود ، ومعمدين الجواسيس ، أن ترخصوا للخادم لمواجهة سيدي الأمير محمد فنظركم ، وأن تأمرون ببقائنا فالخادم منتظر دبرتكم مولاي .. "[١] .

ومن إسهاماته الحربية أنه شارك في حروب القهر عامي (١٣٥٤هـ/١٩٣٥م و١٣٦٠هـ/١٩٤١م) [٢] ، وفي وثيقة بتاريخ (١٣٥٤/٤/٤هـ) من أبو ملحة إلى ابن إلياس يقول فيها :"... **توجهنا من الدرب** [٣] **ووصلنا وراء جبل الريث من جهة اليمن في مدة أربعة أيام مارأينا من فضل الله مكروه ، ووجدنا القبائل مقبلين على السمع والطاعة ، وقد استدعينا كبارهم خصوصاً الريث ومن يواليهم ، وبعد حضورهم وإجراء اللازم نفيدكم مفصلاً إن شاء الله .."** [٤] ، وفي عام (١٣٦٠هـ/١٩٤١م)

---

(١) م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٢٨ ، ص٧ ـ ٨ . ومما يؤكد ما ذهبنا إليه رسالة من الأمير سعود إلى أبو ملحة في (١٣٥٣/٢/٢٦هـ) يقول له " ... من قبل جندكم تحرصون على ضبطه ومباشرته ها الأيام إلى ما نشوف ولابد جاييكم منا دبره ... " . المصدر نفسه ، ج٢٩ ، ١٤٥ ـ ١٤٦ . وفي وثيقة أخرى من أبو ملحة إلى الملك عبد العزيز بتاريخ (١٣٥٣/١/٢٩هـ) يخبره أنه في ظهران الجنوب يقوم بمتابعة النشاطات الحربية هناك ، بالإضافة إلى مواصلة تزويد الجيوش بالإمدادات اللازمة.المصدر نفسه ، ج٢٩ ، ص١٧١ـ١٧٢.

(٢) القهر : نسبة إلى الجبال والبلاد المسماة بهذا الاسم ، وهي تقع ضمن منطقة جازان ، وتسكنها قبائل الريث التي تمردت على الحكم السعودي ثلاث مرات عام (١٣٥٤هـ ، ١٣٦٠هـ ، ١٣٧٥هـ) ، وفي نهاية الأمر تم القضاء على عصيان تلك العشائر ودخلوا تحت لواء الدولة السعودية . لمزيد من التفصيلات انظر: العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج٢، ص١١٦٢ ـ ١١٦٤ ، عبد الله أبو ملحة ، ص ٤٠٩ ـ ٤١٠ .

(٣) الدرب يقصد به درب بني شعبة في تهامة .

(٤) م. ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٢ ، ص٦٢ . وفي تلك الوثيقة يوصي عبد الله بن إلياس بالاجتهاد في كل ما يصلح أمور المالية . المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٦٣ . ونجد في وثيقة بتاريخ (١٣٥٠/٩/٩هـ) من أبو ملحة إلى ابن إلياس تشير إلى إسهامات الأول في بعض النشاطات العسكرية في جازان فيقول:"... من طرف أهل الجبال وصلوا قاطبة ولم يبق منهم سوى بلغازي وفيفا فقد وصل منهم مقدار .. ولا بقي مع القبائل عصاية سوى خوف .. " . المصدر نفسه ، ج٢٨ ، ص ١٩١ ـ ١٩٢ .

ذهب مع الأمير تركي السديري والقاضي عبد الله بن يوسف الوابل [١] على رأس بعض الفرق العسكرية لقمع المتمردين في بلاد الريث وإعادة الأمور إلى نصابها [٢]. وهناك عدد من الرسائل المتبادلة بين أبو ملحة ووزير المالية ، وأمير عسير ، وموظفي ماليات أبها وجازان خلال عام (١٣٦١هـ/١٩٤٢م) وجميعها تدور حول النفقات التي تم صرفها على حملة الريث عام (١٣٦٠هـ/١٣٤١م) ، وكان الشيخ عبد الوهاب المسؤول المباشر عن تلك المصروفات[٣] .

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن الشيخ الوابل ، انظر : ابن جريس ، تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤هـ ـ ١٣٨٦هـ) (الطبعة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ، ج١ ، ص٢٦١ـ٢٦٥ ، المؤلف نفسه ، أبها حاضرة عسير ، ص١٥٣، ٥٢٢ . عبد الله بن محمد بن حميَّد. من أعلام العلماء والأدباء في منطقة عسير (عبد الله بن يوسف الوابل. (أبها : نادي أبها الأدبي ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ، ص٦ وما بعدها . وهذا القاضي والعالم الجليل جدير بالبحث والدراسة حبذا أن نرى أقسام الشريعة أو التاريخ في جامعة الملك خالد تخصص دراسات وبحوث حوله ومن عاصره من أعلام ذلك الزمان .

(٢) العقيلي ، تاريخ المخلاف ، ج٢ ، ص١١٦٣ ـ ١١٦٤ . وقد شاركت معظم القبائل العسيرية في تلك الحملة ، وكانت كل قبيلة قد أحضرت بنادقها معها ، وصرفت الإمارة لكل بندقية (١٥) رصاصة من مستودع ذخيرة الجيش في أبها . ومن الجدير بالذكر أن مالية أبها قبل تشكيل الجيش النظامي في عسير كانت تقوم بشراء الأسلحة والذخيرة وتوزعها على المقاتلين أثناء أداء الأعمال العسكرية الجهادية التي يأمر بها الملك عبد العزيز ، وعند إنشاء قيادة المنطقة الجنوبية العسكرية في أواخر الثمانينيات أصبحت هذه المؤسسة هي المسؤولة عن جميع النشاطات العسكرية والحربية . المصدر : عشرات الوثائق تؤكد على صحة ما أشرنا إليه .

(٣) م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٢ ، ص ٢٠٢ ـ ٢١١ . ج٣ ، ص١٠٦ . ج٣٠ ، ٤١ـ ٤٣ ، ٥٨ـ٥٩ . نجد في وثيقة بتاريخ (١٣٦١/٨/٢٧هـ) من الملك عبد العزيز إلى أبو ملحة حول سجناء الريث ، يقول فيها : "... من قبل سجناء الريث الذين سيرسلون إلى جيزان أعطوهم زهابهم هم والجنود الذين سيرافقوهم .." المصدر نفسه ، ج٣٠ ، ص٤٠ . وحروب الريث جديرة بالبحث والدراسة وتستحق إلى أن تكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراة حبذا أن نرى أحد من طلابنا أو طالباتنا في برنامج الدراسات العليا في جامعة الملك خالد ، فيكون هذا العنوان موضوعاً لأطروحته العلمية .

٢. إسهاماته الأمنية والسياسية :

للشيخ أبو ملحة مشاركات أمنية وسياسية عديدة نجمل أهمها في النقاط التالية:

أ ـــ في بداية ظهور الحكم السعودي الحديث في عسير اتخذ جانب الدفاع والمناصرة لقوات الملك عبد العزيز ، فانضم إليها ووفر لها ما استطاع من أمن ورعاية ، ومن ثم أصبح أحد رجال ابن سعود الرئيسيين في المنطقة الجنوبية" [١] . ونلحظ في كثير من الوثائق الأدوار التي مر بها حتى صار من أقرب رجال البلدان الجنوبية إلى قلب الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل وأبنائه الأوائل (سعود ، وفيصل ، ومحمد ، وخالد ، وغيرهم) [٢]

ب ـــ إذا كان أبو ملحة ذا إسهامات كبيرة في الإدارة والمال وفي مجال العسكرية ، فهو أيضاً قدم الكثير من المشاركات السياسية والأمنية . والفاحص للوثائق في أبواب الإدارة المالية والنشاطات العسكرية يجدها مترابطة بعضها مع بعض ، فلا تقوم الحروب إلا بعد أخذ جميع الاحتياطات السياسية والأمنية ، ولا تتخذ كثير من القرارات الإدارية والمالية إلا بعد مراجعة أحوال البلاد سياسياً وأمنياً [٣] .

---

(١) لمزيد من التفصيلات انظر: الفصول رقم (١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، وملحق الوثائق) من هذا الكتاب .

(٢) م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٤٦، ص١ـــ٢٣٠ . ج٤٧، ١ـــ٢٢٠ .

(٣) هذا ما لمسناه عند قراءة آلاف الوثائق التي ترصد التاريخ السياسي والحضاري للمناطق الجنوبية (عسير ونجران ، وجازان والقنفذة) منذ عام (١٣٤٠ـــ ١٣٨٠هـ/ ١٩٢١ـــ ١٩٦٠م) . وعبد الوهاب أبو ملحة من أكثر الناس ذكراً في هذه المصادر ، بل يعد من أولهم . وأستطيع القول أن هذا الرجل دخل التاريخ من أوسع أبوابه وبخاصة فيما يتعلق بجنوبي البلاد السعودية أثناء رئاسته لإدارة مالية أبها وملحقاتها . وإخراج دراسة عن هذا الرمز وعن أوطان الجنوب ، في الفترة الأنفة الذكر ، لا يمثل إلا نسبة ضئيلة جداً ، وذلك لما يتوفر حول هذه البلاد من المصادر والوثائق غير المنشورة والجديدة فيما تحويه من تفصيلات وحقائق تاريخية حضارية .

ج ــ كان مجتهداً أميناً على أمن الطرقات والأسواق والموانئ وغيرها ، وهذا من صلب عمله الرئيسي ، رئيس ماليات الجنوب ،وهو يدرك إذا توفر الأمن في أسواق الناس ومواطنهم وطرقاقم فسوف يستطيع موظفو الماليات من جباية رسوم واردات الدولة، والقيام بأعمالهم على الوجه المطلوب . وحتى تتحقق هذه الأهداف تجده يتنقل في أرجاء المناطق الجنوبية للوقوف على توفر الأمن والأمان بين الناس ، وسير أعمال الحاكم والمحكوم دون ظلم أو جور حسب ما يرد إليه وينصح به ولاة الأمر . وهناك وثائق عديدة تصور علاقاته مع أمراء وقضاة وشيوخ وأعيان المناطق من أجل الوصول إلى ما يصلح للراعي والرعية ، ويحقق الأمن والاستقرار لعموم البلاد[١]

د ــ كان عبد الوهاب أبو ملحة قاسياً على من يسعى إلى الإخلال بالأمن أو نشر الفوضى أو إرهاب المسافرين من التجار والحجاج وغيرهم [٢] . ونجد العديد من الوثائق والروايات تشير إلى جهوده المباركة في تأمين طرق الحاج اليمني منذ دخوله إلى نجران حتى وصوله إلى بلاد غامد وزهران ،

---

(١) نجد عصر أبو ملحة كان يخيم عليه الفقر وفقدان الأمن وضعف الحياة الاقتصادية ، ومع وجود هذه المعوقات وغيرها كان القائمون على أمر البلاد آنذاك يبذلون قصارى جهودهم للتكيف مع الحياة حسب إمكاناتهم ، ومن يقارن عصرنا الحالي بذلك العصر لا يجد وجه مقارنه من حيث توفر الأمن ورغد العيش في عصرنا الحاضر . وما نعيشه من حياة هنية ليس إلا بفضل الله عز وجل ثم بفضل الملك عبد العزيز (يرحمه الله) ورجاله الصالحين المخلصين أمثال أبو ملحة وغيره. فهم الذين وحدوا البلاد وجمعوا كلمتها من أجل أن ننعم بهذه النعم الكثيرة والمتنوعة .

(٢) كان هناك من يسعى إلى الشكوى أو الوشاية بأبي ملحة عند ولاة الأمر ، وهو يعرف ويدرك ذلك، لكنه يسير في إنجاز أعماله دون خوف أو وجل ، وأحياناً يشير إلى ذلك في بعض خطاباته إلى الملك عبد العزيز ، ثم يؤكد على هدفه الرئيس فيقول له في خطاب بتاريخ (١٣٤٤هـ) ".. لابد أنهم يشتكون مني عند الله ثم عندك ، ولكن أنت تعرف طول الله عمرك إن شاء الله طبيعتي أني أحامي على الولاية وعلى شرفي ... " . م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٣٠، ص ٢١٩ ــ ٢٢١ .

والجهود التي يبذلها في هذا الجانب نتيجة لتوجيهات الملك عبد العزيز الذي كان يسعى دائماً إلى توفير جميع سبل الراحة لحجاج بيت الله الحرام[١] .

هـ ـ فيما يتعلق بالسياسة الخارجية للدولة ، اشترك أبو ملحة مع الوفد الذي أرسله الملك عبد العزيز إلى إمام اليمن يحيى حميد الدين من أجل إنهاء المشكلة الحدودية بين البلدين[٢] . وكان الوفد السعودي مكوناً من محمد ابن دليم ، وسعيد بن مشيط، وعمر بن عسكر ، وعبد الوهاب أبو ملحة[٣] ، وقد ذهب هذا الوفد من أبها حتى وصل صنعاء ومكث هناك بعض الوقت دون أن يحقق نجاحات وأخيراً عاد إلى عسير. كما أرسل وفداً آخر مكوناً من أبو ملحة ، وسعيد بن مشيط، وتركي بن محمد الماضي في أواخر شهر ذي القعدة (١٣٤٥هـ/١٩٢٧م) ، وبقي هذا الوفد

---

(١) **قصص الحجاج اليمنيين خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) جديرة بالبحث والدراسة وبخاصة منذ دخولهم من الحدود اليمنية حتى وصولهم إلى الحجاز . كان الملك عبد العزيز يوصي الأمراء ورجال الأمن ورئيس ماليات الجنوب على بذل ما يستطيعون في توفير الأمان لهم ، ومساعدتهم في سفرهم ، وتزويدهم بالطعام والشراب والخدمات الصحية . والباحث في هذا الجانب يجد بعض السلبيات . والإيجابيات التي كانت تواجه حجاج اليمن منذ خروجهم من نجران إلى الطائف ، إلا أن المسؤولين في الجنوب أمثال: عبد الوهاب أبو ملحة كانوا لا يتأخرون في تقديم كل ما يستطيعونه لهم . للمزيد انظر: ابن جريس ، القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٢ ، ص ١٥٩ـ١٦٢ ، م. ابن جريس الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج١ ، ١٥ـ١٩ ، ١٤٠. ج٢ ، ص٢٥، ٥٥ . مقابلة مع عبد الله بن سليم بن فرج بخميس مشيط في (١١/١١/١٤٣١هـ) والذي أجرى المقابلة ودونها عبد الرحمن بن سعيد أبو ملحة .**

(٢) **للمزيد من التفصيلات انظر: العقيلي ، تاريخ المخلاف ، ج٢ ، ص١٠٣٥ وما بعدها ، آل زلفه ، عسير ، ص ١٣٩ وما بعدها .**

(٣) **هؤلاء الرجال لعبوا دوراً هاماً في توطيد الحكم السعودي في عسير وما جاورها . وهناك دراسات عديدة خرجت عن أبو ملحة وابن مشيط ولازال ابن دليم يستحق أن يفرد له دراسة علمية موثقة.**

في صنعاء إلى شهر المحرم (١٣٤٦هـ)[١] . وكانت مهمة الوفد تتعلق بوضع الأدارسة في جازان ، وعدم تشجيعهم على إثارة القلاقل والفتن ضد الحكم السعودي ، والاتفاق على ترسيم الحدود وحسن الجوار ، وإنشاء علاقة صداقة وتآخي. وبعد حوالي (١٧) جلسة بين الوفد السعودي والحكومة اليمنية فشلت المحادثات، وعاد السعوديون أدراجهم إلى أبها [٢] .

والمتأمل في المصادر والوثائق التي عالجت رسم الحدود بين اليمن والسعودية خلال العقد السادس من القرن (١٤ هـ / ٢٠ م) [٣]. نجد أيضاً أن عبد الوهاب أبو ملحة كان رئيساً للوفد السعودي الذي ذهب إلى ترسيم الحدود على الواقع عام (١٣٥٤ هـ) ، والتي سبق وانتهت بمعاهدة الطائف بين البلدين في (٦/١٠/١٣٥٣هـ)[٤].

وللشيخ أبو ملحة دور آخر في مراقبة الحدود مع اليمن والتشاور مع بعض موظفي الدولة فيما يخدم أمن ومصلحة البلاد أمنياً وسياسياً . ففي رسالة بتاريخ

---

(١) **للاطلاع على شروحات أكثر وبخاصة عن الوفود السعودية التي ذهبت لليمن للتفاوض على الحدود وعلاقات الجوار ، انظر: آل زلفه ، عسير ، ص١٣٩ وما بعدها .**

(٢) **المصدر نفسه . ونجد عدداً من الرسائل المتبادلة بين عبد الوهاب أبو ملحة والملك عبد العزيز وولديه سعود وفيصل وجميعها تدور حول تمرد الأدارسة في جازان واتصالهم بإمام اليمن ، وتقلب ومراوغة حكومة اليمن وعدم استقرارها على رأي محدد بخصوص الحدود وحسن الجوار. م. ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٢٨ ، ص ١٥٨ ـ ١٧١ . ج٣١ ، ص١٤٠ـ١٤١ . ج٣٣ ، ص ١١٠ ـ ١١١ . ج٤٦، ص ١٩٦ .**

(٣) **وبخاصة في عامي (١٣٥٣ـ١٣٥٤هـ/٣٤ـ١٩٣٥م) .انظر: آل زلفه ، عسير ، ص٢٠٥ وما بعدها .**

(٤) **للمزيد عن تلك الحوارات وعن التفصيلات التي وردت في محاضر جلسات الوفود السعودية اليمنية . انظر ، آل زلفه ، عسير ، ص ٢٠٥ ـ ٣٠٢ .**

(١٣٥١/٦/٨هــ) من الملك عبد العزيز إليه يقول فيها "... **ابـــن ضـــاوي**[١] . **أرسلناه بكتاب ليحيى**[٢] ، **يبنغي أن تتذاكروا مع ابن عسكر**[٣] **لكي ترســلوا له رجلين أو ثلاثة، ويكونوا باخصين**[٤] **الديرة ، ومأمونين ، وتسنعوهم بكل ما يلزم لهم لوصولهم بصورة طيبة ولائقة ، ولا يصير علــيهم قاصــر** .." [٥]. وفي خطاب بتاريخ (١٣٥٢/٦/٣٠هــ) من الأمير تركي السديري إلى عبد الوهـــاب أبو ملحة يحثه على التعاون معه في بعض الأمور الأمنية والسياسية الخاصة بـــاليمن فيقول: "... **وردنا برقية من جلالة مولاي الملك المعظم بخصوص مسألة الــيمن الداخلي ، وهي مهمة غاية مستعجلة ، فعليه يلزم حــضوركم قبــل طلــوع الشمس بكره لأنها مشتركة وضروري الجواب عليها ، أيضاً إذا عندكم رجــل عاقل وموثوق يبخص أحوال اليمن فأنتم أقبلوه معكم**[٦] ، **والحــرص علــى الرجل الذي يخبر دروب اليمن وسهله وجبله ومياهــه** .." [٧] . وفي خطــاب بتاريخ (١٣٥٦/٨/١٩هــ) من الأمير سعود إلى أبو ملحة يشكره على ذهابه في

---

(١) ابن ضاوي : اسمه محمد بن ضاوي ، أحد موظفي مالية أبها ، وتولى بعض الأعمال في نجران ، فأشرف على بناء قصر الإمارة هناك ، كما أشرف على بعض التوسعات العمرانية لمالية أبها ، ثم انتقل إلى الرياض ، وصار مديراً للجوازات بها ، مقابلة مع الشيخ أحمد بن مطاعن في أبها يوم الأربعاء (١٤٣٢/١١/١هــ) .

(٢) يقصد الإمام يحيى بن حميد الدين .

(٣) يقصد أمير عسير ، عبد العزيز بن عبد الله بن عسكر .

(٤) باخصين : أي عارفين بالبلاد التي سوف يسلكونها للوصول إلى اليمن .

(٥) م. ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هــ/٢٠م) ج٢٣، ص٢٢ــ٢٣. ويتضح من هذه الرسالة حرص الملك عبد العزيز على مظهر الرسل المرسلين إلى حاكم اليمن فيكونوا على قدر جيد من الهيئة في الشكل والمضمون حتى تحقق وفادتهم بعض النتائج الإيجابية التي تصب في مصلحة الحكومة السعودية. والاجتهاد في اختيار الرسل بروتوكولات قديمة عرفها العرب وغير العرب منذ عهود قديمة .

(٦) أقبلوه معكم : أي أحضروه معكم .

(٧) م. ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هــ/٢٠م) ج٣٣ ، ص١٧٨ــ ١٧٩ .

مهمة ترسيم الحدود مرات عديدة ، ثم يقول له:" ... **من قبل توجهكم لأجـــل النظر في الحدود إن شاء الله أن لازمكم انقضى على ما في الخاطر ، والإفـــادة منكم بالتفصيل وما صار بينكم وبين ابن الوزير في أثناء الطريق..)** [١] .

٣. إسهاماته العمرانية والاجتماعية :

كان لعبد الوهاب أبو ملحة بعض الجهود العمرانية الخاصة والعامة . ولكونه قد استوطن مدينتي خميس مشيط وأبها ، ففي الأولى سكن في حي عرف باسم (عرق آل أبو ملحة) ، ولازال يحمل الاسم نفسه إلى الآن [٢] .وقد بُني في هذا الحي عدد من المنازل والقصور الفخمة ، أشار إليها بعض الرحالة الذين زاروا الخميس في القرن الماضي أمثال فلبي وفيليب ليبتر وغيرهما [٣] .

وفي مدينة أبها له العديد من الأملاك والعقارات ، من أهمها : قصره الذي عرف بأسماء عديدة مثل: شدا ، أو القصر الأبيض ، أو مشرف ، أو قصر أبو ملحة [٤]، ويقع وسط مدينة أبها إلى الناحية الشرقية من مبنى إمارة منطقة عسير

---

(١) م. ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٤٦ ، ص١٩٩ ، وابن الوزير الوارد ذكره في الرسالة : هو أحد رجالات اليمن المؤثرين الرئيسيين في حكومة الإمام يحيى بن حميد الدين . وتاريخ هذه الرجل في بلاد اليمن ، وعلاقاته مع الحكومة السعودية يستحق أن يكون موضوع لرسالة ماجستير أو دراسة علمية أكاديمية تنشر من خلال إحدى مراكز البحوث العلمية .

(٢) انظر: صور أجزاء من هذا الحي في ملحق الصور من هذا الكتاب .

(٣) اندثرت جميع قصور الشيخ عبد الوهاب في حي العرق بخميس مشيط ولم يبق إلا صورها معلقة في مجالس بعض أحفاده وأقاربه . وهناك صور بعض تلك المنازل في ملحق الصور بنهاية هذا الكتاب . للمزيد انظر الشهادة الأولى في الفصل السادس من هذا السفر.

(٤) سمي هذا القصر باسم شدا على اسم شدا الفعلي الذي كان مقابلاً له من الجهة الجنوبية ثم هدم وحل محله مبنى الهاتف القديم والذي لازال قائماً حتى الآن. أما قصر شدا الأخير (مقر أبو ملحة)، فقد تم تحويله إلى متحف للتراث الشعبي عام (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م). وسمي بالقصر الأبيض نسبة إلى لونه الخارجي المطلي بمادة القضاض . م. ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٤١ ، ص٥ . انظر: صورة هذا القصر في ملحق الصور بنهاية الكتاب .

وجامع الملك عبد العزيز . بدأ تشييده عام (١٣٤٧هـ/١٩٢٨م) وانتهى منه (١٣٤٨هـ/١٩٢٩م)، ثم سكنه حتى عام (١٣٥٦هـ/١٩٣٧م) [١] . لم يستمر أبو ملحة في سكن هذا المترل وإنما تركه بناء على توجيه من الملك عبد العزيز الذي أمر بان يكون نزلاً لأمير عسير، تركي السديري ، وشيد قصراً آخر في شمال ميدان البحار [٢] ، وانتقل إليه عام (١٣٥٦هـ/١٩٣٧م) [٣] . وقد أشارت صحيفة صوت الحجاز (البلاد) إلى فخامة هذا القصر الجديد فقالت:".. **بنى الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة قصراً بديعاً فخماً في أبها يشرف على المدينة كلها ، ويراه القادمون من مسافات بعيدة ، والقصر لا يضاهيه في عسير كلها قصر في فخامته ولا في حسن هندسته . وقد افتتحه في الأسبوع الماضي بدعوة جميع الطبقات في أبها إلى وليمة عشاء فاخرة ، وقد خرج الناس معجبين بفخامة القصر شاكرين لصاحبه ما لقوه من كرم وعطف** "[٤] .

أما جهود أبو ملحة العمرانية بصورة عامة ، فكانت متعددة الجوانب ، ولأنه رئيس ماليات الجنوب فكان عليه أن يوفر دوراً لجميع المؤسسات الحكومية

---

(١) نجد الملك عبد العزيز يرسل للشيخ أبو ملحة يهنئه ببناء هذا القصر ، المصدر : م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٣٠ ، ص١١٧ـ١١٨ .

(٢) ميدان البحار: الساحة الواقعة غرب مبنى إمارة منطقة عسير اليوم . وهذا الميدان من المعالم الرئيسة في أبها ، تقام فيه حفلات المنطقة ومناسباتها الكبرى . ونلاحظ في هذه الأيام استبداله بالساحة الشعبية الواقعة إلى الشمال من مقر نادي أبها الأدبي . أما القصر الذي شيده أبو ملحة فلازال ماثلاُ للعيان حتى اليوم ، وقد أصابه بعض الدمار في عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ، ثم تولت الهيئة العليا للسياحة إعادة ترميمه وإصلاحه حتى يكون متحفاً رئيساً في أبها . انظر صورته قبل الدمار الذي لحق به عام (١٤٣٢هـ) ضمن ملاحق الصور بنهاية هذا الكتاب .

(٣) م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٣٠ ، ص١٨ .

(٤) صحيفة صوت الحجاز (البلاد) ، عدد (٢٥٧) في (٧/ربيع الأول / ١٣٥٦هـ) ، تحت عنوان (العمران في أبها) . م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٣٠ ، ص١١٧ـ١١٨.

في أنحاء البلدان الجنوبية ، وذلك بالبحث عن طريق موظفي الماليات ومندوبي كل إدارة حكومية، وعند وجود الدار المناسب لكل مؤسسة أو سكناً لبعض موظفي الدولة كالأمراء والقضاة وغيرهم يتم إجراء الخطوات اللازمة من قبل المالية وغيرها حتى تستأجر تلك العقارات وتزود بكل ما تحتاجه من أثاث وأدوات أخرى ضرورية . ومئات الوثائق ترصد توفير تلك الأبنية ، في جميع الحواضر الجنوبية إما بالإيجار أو التملك باسم الدولة . وإذا انتقلت بعض تلك العقارات إلى ملكية الدولة فإن إدارة المالية وعلى رأسها أبو ملحة كانت هي الأخرى مسؤولة عن متابعة إجراءات الملكية في إدارات البلديات والمحاكم وكتابات العدل وغيرها [١] .

ولعبد الوهاب أبو ملحة أعمال كثيرة في مجال البناء والعمارة العائدة مصلحتها للصالح العام . ففي وثيقة بتاريخ (١٣٥١/٨/٢٣هـ) من مدير برق وبريد أبها إلى أمير عسير يذكر له تسرب مياه الأمطار إلى مبنى إدارة البرق ويطلبه المسارعة في إصلاح هذا الدمار قبل أن يتفاقم ، فلم يكن على الأمير إلا إرسال ذلك الخطاب إلى رئيس مالية أبها (أبو ملحة) قائلاً : " .. **تطلعون على مذكرة مدير اللاسلكي .. وبعد كشف خلل الدائرة يقتضي إجراء ما يلزم نحوها ...**" [٢] .

---

[١] هناك عشرات الوثائق التي تشير إلى استئجار أو امتلاك دروراً وعقارات عمرانية في عسير وجازان ونجران والقنفذة ، وما تقوم به مالية أبها وتوابعها من إجراءات للإيجار أو التملك . وفي حالة انتقال ملكية بعض العقارات إلى الدولة ، فإن المالية تسعى إلى استخراج الصكوك الشرعية الخاصة بتلك الملكيات ، ثم تقوم بحفظها ضمن خزائنها ومستودعات . المصدر: م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٢ ، ص٧٠ـ٧٤ . ج٣ ، ص ١٣ ، ١٨ ، ٢٩ـ٣٢ ، ٣٩ ـ ٤٤ ، ٤٧ ـ ٦٤ .

[٢] م. ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٣٢ ، ص٢٠٤ـ٢٠٥ . وهناك عدد من الوثائق التي تصور ما تقوم به إدارة المالية من جهود مباركة في ترميم وإصلاح عقارات الحكومة في جميع أنحاء المنطقة الجنوبية ، وكان الشيخ أبو ملحة على صلات مباشرة بجميع تلك النشاطات العمرانية .

وتذكر جريدة صوت الحجاز (البلاد) في عددها (٢٤٧) (الثلاثاء ١٣٥٥/١٢/٢٦هـ) أنه لا يوجد في مدينة أبها بل في عموم بلاد عسير جامع كبير ، ولذا أصدر الملك عبد العزيز أمراً ببناء جامع في وسط أبها ويكون عبد الوهاب أبو ملحة وطلعت وفا [١] المشرفين على بناء وتشييد ذلك الجامع[٢] .

وفي وثيقة بتاريخ (١٣٥٩/١/١٠هـ) من وكيل وزارة المالية إلى أبو ملحة يعمده بشراء جميع المواد الضرورية لبناء وترميم قلعة ذرة[٣]. وفي خطاب آخر بتاريخ (١٣٦٣/١/١١هـ) من وزارة المالية إلى أبو ملحة يوجه فيه إلى إصلاح بعض الدمار الذي ظهر على قصر إمارة أبها[٤]. وفي وثائق مماثلة من إمارة عسير ووزارة المالية إلى الشيخ عبد الوهاب يبلغونه بالإشراف والمسؤولية الكاملة على بناء أو ترميم العديد من الأبنية الخاصة ببعض المؤسسات الإدارية في نواحي عديدة من منطقة عسير[٥] .

---

(١) طلعت وفا : كان مديراً للشرطة في أبها خلال خمسينيات القرن الهجري الماضي . للمزيد انظر ، ابن جريس ، أبها حاضرة عسير ، ص٤٤٧ ، للمؤلف نفسه . بلاد القنفذة خلال خمسة قرون ، ص ٣٥٣ .

(٢) م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٢٨ ، ص٢٠٩ ــ ٢١٠ . وهناك عشرات الوثائق التي توضح المصروفات التي تم إنفاقها على هذا الجامع . المصدر نفسه : ج٣٦ ، ص ١٨٠، ٢١٦ .

(٣) م. ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج١ ، ص١١٠ . وهناك حوالي (١٥) وثيقة تشتمل على بعض المراسلات حول ترميم هذه القلعة ، وبعض من هذه الوثائق تعكس المصاريف النقدية التي تم صرفها على هذا البناء . م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٢١ ، ص ١١١ــ١٢٧. وقلعة ذرة إحدى القلاع العسكرية العثمانية في أبها . للمزيد انظر: ابن جريس، أبها حاضرة عسير ، ص ٣٧٠ .

(٤) م. ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٣ ، ص٦٨ . وفي وثيقة أخرى بتاريخ (١٣٦١/١١/٨هـ) من قائد منطقة أبها إلى رئيس المالية يطلب المساعدة في عمارة بيوت الخلاء الخاصة بالمسجد والثكنة العسكرية الخاصة بالعسكريين .

(٥) المصدر نفسه : ج١ ، ص١٢٨ ــ ١٣٤ ، ١٣٩، ج٣ ، ص٦٨. ج٢٧، ص٢١١ــ٢٢٣ . ج٣٣، ص ١٣٠ــ١٣٣ . ج٣٨ ، ص١١١. ج٣٩ ، ص٣٧ .

ووثائق أخرى تشرح جهود أبو ملحة في بناء قصر الحكومة في نجران[1] . ففي برقية بتاريخ (١٣٥٣/٥/٢٨هـ) من محمد سعيد كمال ، أمين مالية نجران ، إلى تركي السديري وأبو ملحة في أبها يوضح لهما المكان الذي يفضل تشييد قصر الحكومة عليه بنجران، كما يذكر لهما بعض الاحتياجات والنواقص والعقبات التي أمامهم للبدء في البناء ويطلب العون والمساعدة فيقول:".. **نرى أنه من الضروري جداً من الاستعداد بجميع لوازم بناية القصر من خشب ، وحديد، ونجارين ، وحدادين ، وسيارات ، وأدوات، ومكاتل، وعتل، وفواريع، وحبال، وحثاء[2]، وخلاف ذلك من جميع ما يخص البناء مما لا يخفى عليكم مما يلزم الاستعداد، وذلك قبل الشروع في العمل."** [3]. وفي وثيقة بتاريخ(١٣٥٣/٤/٤هـ) من إبراهيم بن ضاوي ، أحد موظفي ماليات أبها ونجران، يرسل إلى الشيخ عبد الوهاب يشرح له بعض التفصيلات عند بدء العمل في بناء ذلك القصر ، ويحتاج إلى بعض الطلبات فقال: "**.. نرجو سرعة إرسال ثلاثين عاملاً من طرفكم .. ووصينا على عمل عشرة مكاتل ، وإلى الآن ما خلصت ، ومتى حصلت شرعنا بالعمل على قدر الإمكان ..**"[4].

---

(١) وهذا القصر لازال ماثلاً للعيان في حي أبو السعود بنجران ، ويجب على الهيئة العليا للسياحة والجهات المسؤولة عن الآثار في نجران الحفاظ على هذا المعلم الحضاري الهام . زيارة الباحث لهذا القصر في منتصف عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) . للمزيد انظر ، ابن جريس ، القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ونجران) (٣٢–١٤٣٣هـ/٢٠١١م) ج٣ ، ص ٢٥٢–٢٥٣ .

(٢) يقصد بالحثاء هنا : أي التراب اللازم للبناء ، والمشاهد لهذا القصر اليوم يجد مادة التراب والطين هي الرئيسة في تشييده .

(٣) م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٢٩، ص ٣٦–٣٧ . ج٣٤ ، ص١٦٤–١٦٥.

(٤) م. ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٢٩ ، ص٦٨–٦٩ . والمتأمل في نصوص عشرات الوثائق يجد أن عبد الوهاب أبو ملحة وموظفي مالية نجران ، وأمير نجران عساف المنصور ، وأمير عسير تركي السديري ، كانوا متعاونين باذلين ما في وسعهم لتنفيذ توجيهات الملك عبد العزيز في بناء قصر نجران . وهناك تفصيلات أخرى كثيرة تشرح الآليات والمصروفات التي تم انفاقها على ذلك القصر. م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٢٠ ، ص٨٢–٨٤ ، ١٧٤– ١٧٩ . والواجب على جامعة نجران أن تولي منطقة نجران اهتماماً كبيراً من حيث دراسة أوضاعها التاريخية والحضارية وبخاصة العمرانية والتنموية .

كان أبو ملحة مجتهداً في عمارة ما يخدم المواصلات والطرق الرابطة بين أنحاء البلدان الجنوبية . وفي عدد من الرسائل والوثائق المتبادلة بينه وبين أمراء آل سعود مثل: سعود وفيصل ومحمد أبناء الملك عبد العزيز، والأمير فيصل بن سعد بن عبد الرحمن ، وأمراء المناطق الجنوبية وغيرهم تفصيلات كثيرة حول إصلاح وصيانة بعض الطرقات التي تسلكها الجيوش والسيارات أثناء حروب نجران ، والأدارسة والريث في جازان[١]. وعبد الوهاب من أكثر الناس حرصاً على حماية وإصلاح ورصف الطرق التي تربط أبها مع غيرها من أجزاء المنطقة ، وذلك لأسباب عديدة منها :

أ ـــ إدارة المالية في أبها وعلى رأسها أبو ملحة كانت المسؤولة الأولى عن مراقبة الأسواق والموانئ وجباية الرسوم والزكوات ، ولهذا فموظفو الماليات كانوا على تواصل مستمر، ذاهبين آيبين ، ما بين أبها وأجزاء المنطقة . ولهذا فأبو ملحة كان حريصاً كل الحرص على سهولة الطرق وصيانتها بقدر الاستطاعة حتى تؤدي المالية واجباتها الكاملة في جباية موارد الدولة .

ب ـــ لاحظنا في عدد من الوثائق أن أبو ملحة ومالية أبها كانت المشرفة على تمويل جميع الحملات العسكرية التي ظهرت في الجنوب . بل كانت المسؤولة عن صرف رواتب موظفي الدولة ، وعن نفقات ومصاريف اجتماعية واقتصادية أخرى. وهذا مما يعزز مسؤوليتها عن أمن وإصلاح الطرق والمواصلات[٢] .

---

(١) م. ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٢٨ ، ص ١١ـــ١٣ ، ٧٣ ـــ ٧٥ .

(٢) عندما نقول إصلاح الطرقات ، فذلك حسب إمكانات الدولة في القرن (١٤هـ/٢٠م) ، حيث كانت بسيطة وبدائية . ويقصد بالإصلاح هنا : أي رصفها بالحجارة ، وعمارة ما اندثر منها حتى تكون مسلوكة . والمواصلات والطرق في الماضي لا تقارن مع الحاضر ، فكانت صعبة ومتواضعة في القرون الماضية ، أما اليوم فهناك تطور هائل جداً في عالمي الاتصالات والمواصلات .

ح ـــ الشيخ عبد الوهاب نفسه تنقل في أرجاء المنطقة الجنوبية ، وشاهد معاناة الناس في صعوبة المواصلات ووعورة الطرق[١]. ولهذا كان لا يتأخر في العون والمساعدة البدنية والإدارية والمالية في كل ما يسهل عبور واستخدام الطرقات بل كان نفسه يعاني دائماً في عمله اليومي أو الأسبوعي أثناء ذهابه ما بين أبها والخميس[٢]. وذلك أثناء عبوره الطريق ما بين المدينتين [٣] . ويذكر شاهد عيان بعض الجهود التي كان يبذلها الشيخ عبد الوهاب في إصلاح ورصف تلك الطريق ، فيقول:".. **كان لدى الشيخ ـــ يقصد أبو ملحة ـــ عدد من الفرق التي تمهد الطريق بالمعاول والأدوات البدائية ، وكان الشيخ يتوقف أكثر من مرة ليزودهم بالتوجيهات ، ويلاحظ ما تم إنجازه ، ومن ثم كان يزورهم بالمؤونة من سيارته (الوانيت) ، وتشتمل على البر والتمر والسمن حتى يستمروا في أداء أعمالهم لتمهيد الطريق بكل همة ونشاط ...**"[٤] .

---

[١] للاطلاع على بعض الطرق القديمة في منطقة عسير وما حولها ، انظر: ابن جريس ، عسير (١١٠٠ـــ ١٤٠٠هـــ) ، ص ١٦٣ـــ ١٦٧ ، للمؤلف نفسه ، عسير في عصر الملك عبد العزيز ، ص ١٤٨ ـــ ١٥٠ .

[٢] كان أبو ملحة من سكان خميس مشيط ويستوطن عرق أبو ملحة في الخميس ، وله أهل وأقارب هناك . ويعمل رئيساً لماليات الجنوب في الإدارة الرئيسة بأبها ، وله أيضاً أسرة وأصحاب ، ولهذا فهو في سفر دائم ما بين أبها والخميس . المصدر : انظر الشهادة رقم (١٢) في الفصل السادس من هذا الكتاب ، من تدوين حفيده (عبد الله بن سعيد بن عبد الوهاب أبو ملحة) .

[٣] يذكر بعض المعاصرين للعقود الأولى من القرن (١٤هـــ/٢٠م) الوعورة والخوف الذي كان يواجهه المسافرون ما بين أبها والخميس . والذاهب في هذه الطريق اليوم لا يصدق ما يسمعه من قصص الأوائل ، وما كانوا يقابلونه من مشاكل وعقبات في اجتياز تلك الطريق .

[٤] انظر الشهادة رقم (١٣) في الفصل السادس من هذا الكتاب ، من تدوين اللواء ركن طيار عبد الله محمد أحمد أنور . صعوبة الطرق البرية والعقبات التي كانت تواجه المسافرين والحجاج وغيرهم في جنوبي البلاد السعودية جديرة بالبحث والدراسة ، حبذا أن نرى هذا الموضوع مدروساً بطريقة علمية في دراسة أكاديمية .

وللشيخ أبو ملحة جهود أخرى عديدة في الميدان الاجتماعي ، نشير إلى أهمها في النقاط التالية :

أ ـــ القارئ للشهادات المسطرة في الفصل السادس من هذا الكتاب يلمس عدداً من إسهاماته الاجتماعية المتنوعة ، ناهيك عن عشرات الوثائق المتناثرة نصوصها أو عناوينها في الكتاب نفسه فهي الأخرى مليئة بالتفصيلات التاريخية للحياة الاجتماعية التي عاشها هذا الرجل العصامي [١] .

ب ـــ البارز في رسائله المتبادلة مع الملك عبد العزيز والأمراء وموظفي الدولة أنها لا تخلو من قضايا اجتماعية متعددة مثل : السؤال عن صحة البدن والأهل والأولاد ، وتبادل السلام وبعض الهدايا المتنوعة [٢] ، وأحياناً الإشارة إلى بعض التفصيلات المحلية في جنوبي السعودية كنزول الأمطار ، أو ظهور القحط والجدب ، أو انتشار بعض الكوارث أو الأمراض وغيرها [٣] .

ج ـــ مشاركته في إصلاح ذات البين بين بعض الأفراد أو الجماعات أو العشائر ، وغالباً تنتهي تدخلاته بالإصلاح بين المتخاصمين [٤]. كما كان يستشار من شتى طبقات

---

(١) انظر في مواضع عديدة من الكتاب للتأكد مما أشرنا إليه .

(٢) انظر الفصل الرابع ، وملحق الوثائق من هذا الكتاب .

(٣) م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٢١ ، ص٢٢٩ . ج٢٨ ، ص١٧٥ ، ١٩١. ج٣٠ ، ص١٤٦ . ج٣١ ، ص٢١٧ـــ ٢٢٨ . ج٣٢ ، ص١٣٣ ـــ١٣٧ . ج٣٧ ، ص ٢٢٤ . ج٤٦ ، ص ١٩٨ .

(٤) هناك عدد من الوثائق التي تؤكد نفوذه الاجتماعي وقدرته على الإصلاح بين الناس ، ومنها وثيقة بتاريخ (١٣٥٢/٦/١هـ) من أمين مال رجال ألمع إلى أبو ملحة يشتكي له في عدد من الأمور في نواحيهم ويطلبه التدخل في إصلاح عدد من تلك المشاكل ، ثم يقول " .. سيدي إن الناس بجهاتنا كافة يثقون بالله ثم بجنابكم في جميع الأحوال ، ربنا يزيدك عطا وعزاً وقبولاً ، وأن يصلح بمثلك وأمثالك البلاد والعباد .. " م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٣٣، ص ١١٩ـــ ١٢٠ . وفي وثيقة أخرى بتاريخ (١٣٦٤/٢/٨هـ) من قاضي رجال ألمع وشيخي قبيلتي بني قطبة وبني ظالم إلى الشيخ عبد الوهاب ويشرحون له تفاقم الخلاف بين أمير رجال ألمع ومأمور الأسواق هناك ويرجونه التدخل في إصلاح الخصومة التي بين الطرفين فقال:".. لذلك اقتضى نظرنا التماس المساعدة من حضرتكم على التوسط بينهم في حسم هذه القضية .." م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) . ج٢٦ ، ص١٩٦ .

المجتمع ، وبخاصة من صانعي القرار ووجهاء البلاد وأعيانها ، وذلك لحنكته ودرايته بأوضاع البلاد وأهلها .

د ـــ كان أبو ملحة على قدر عال من الاحترام والذكاء في التعامل مع كافة شرائح المجتمع ، فيترل كل إنسان في مترلته الاجتماعية التي يستحقها ، فتجده يقابل المسؤول الكبير أو الشيوخ والأعيان وموظفي الدولة المختلفين فيعطي كل ذي حق حقه من الاحترام والتواصل الاجتماعي . ويلتقي بعامة الناس فيتعامل مع كل شخص على قدر مسألته أو مشكلته دون غرور أو تعالي(١) .

هـــ ـــ عُرف عن أبو ملحة كثرة التنقل والأسفار بحكم مسؤوليته في الحفاظ على واردات ومصروفات بيت المال ، أو أثناء قيامه بعدد من المسؤوليات الأخرى(٢). ولهذا كان في جميع أسفاره داخل المناطق الجنوبية أو خارجها يحرص على الاستعداد بكل ما يلزمه(٣)، ويذهب معه عدد من الرفاق مثل:

---

(١) من خلال قراءتنا لعدد من وثائق القرن (١٤هـ/٢٠م) وجدنا أبو ملحة وأمثاله من وجهاء البلاد الجنوبية وأعيانها كانوا على قدر كبير جداً من التواضع والخلق الجم ، بل كانوا عارفين بحقوق الله عز وجل ثم حقوق الناس عليهم فتراهم على صلات حسنة بأهل عصرهم . وأعلام جنوبي البلاد السعودية (عسير ونجران وجازان والقنفذة والباحة) في القرن (١٤هـ/٢٠م) ، جديرون بالبحث والدراسة . ونأمل أن نرى من طلاب البحث التاريخي الجادين المنصفين من يحصر أولئك الرموز ثم يخرج لهم تراجم علمية حتى يرى أجيال عصرنا ما كان عليه أولئك الرجال من صفات وأخلاق حميدة . وفي وثيقة بتاريخ (١٣٥٢/١٢/٢٦هـ) من الأمير سعود إلى أبو ملحة يوصيه بالجند الذين جاؤوا من نجد للمشاركة في حرب نجران ، ثم ينبه إلى مراعاة خواطرهم فهم من بيئة بدوية صرفة ، فيقول: " ... خذ بخواطرهم لأن طبائع البدو ما تخفاكم ، وراوزوا الناس مراوزه .. " . م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٢٨ ، ص ٧٨ـــ٨٠ .

(٢) قام بالعديد من المسؤوليات غير إدارته لبيت المال ، وللمزيد انظر الصفحات السابقة في هذا الفصل ، وانظر الوثائق الوارد ذكرها أو صورها في أجزاء أخرى عديدة من هذا الكتاب .

(٣) كان أبو ملحة كثير الأسفار لمقابلة الملك عبد العزيز في الرياض ، وفي مكة المكرمة والطائف .

بعض موظفي مالية أبها ، أو بعض مواليه وعبيده ، وأحياناً بعض أولاده أو قرابته . وأثناء السفر يحرص على تفقد رفاقه، وينزل أحياناً ضيفاً على بعض شيوخ القبائل أو الأعيان والوجهاء الذين يمر عليهم في طريقه ، أو في المكان الذي يرغب الوصول إليه [١].

و ـــ إذا ما بحثنا في حياة أبو ملحة الاجتماعية اليومية العامة ، نجدها مليئة بالعمل الدؤوب، دون أن ينسى أفراد أسرته ، فكان يتناول وجبة الإفطار معهم ، ثم يرتدي لباسه ذاهباً إلى أعماله المتعددة الجوانب . وأهله ومواليه من بعده يقومون بجميع الخدمات المنزلية في بيته وعقاراته . وتشير عدد من الروايات والوثائق إلى كرمه ، فكانت منازله في أبها والخميس مفتوحة طوال الوقت ، فلا تنقطع من الضيوف بجميع مستوياتهم . وسواءً كان موجوداً أو غائباً فقد نظم سير الحياة في قصوره ، وأصبح هناك من أسرته ومواليه من يقدم واجبات الضيافة لأي ضيف يرتاد منازل هذا الشيخ الوجيه[٢].

ز ـــ كان رفيقاً كريماً مع الفقراء والأيتام والمحتاجين من عامة الناس أو من رفاقه وأهل بيته ومواليه . ويذكر أحد شهود العيان أنه كان عنده في منزله بالخميس ثلاثة مخازن لجميع أنواع الحبوب ، وهذه المستودعات تفتح من وقت لآخر ويوزع ما بها من مؤن على الفقراء وأصحاب الحاجة الذين

---

(١) هناك عشرات الوثائق التي تشير إلى نزوله ضيفاً على بعض أمراء المناطق في أنحاء البلدان الجنوبية ، كما كان يزور بعض الأمراء أو موظفي الدولة الكبار أثناء تواجده في نجد أو الحجاز . المصدر: م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـــ/٢٠م) ، ج٣٣ ، ص٥٣ ـــ ٥٦ . ج٣٨، ص٥٣ .

(٢) الكرم من الصفات الحميدة التي امتاز بها عموم أهالي الجنوب ، وكانت في السابق من الأولويات، مع أن هذه الصفة بدأت تتلاشى في عصرنا الحاضر، وأحياناً تقام اليوم عدد من بروتوكولات الكرم والضيافة الممجوجة والبعيدة عن الأعراف والأصالة التي عرفها جيل الشيخ أبو ملحة ومن سبقهم .

كانوا يترددون على مترله باستمرار [(١)]. أما علاقاته مع مواليه فكانت علاقة حسنة ، فهو يتفقد أحوالهم ، ويشرف على معالجة مرضاهم ، ويشاركهم في أحزانهم وأفراحهم ، وإذا أخطأ أحدهم فلا يتورع عن معاقبته ، ويذكر عنه أحد مواليه قوله : " ... **عبد الوهاب وصفه قليل صادق صدوق وكريم ، وشين إذا أخطأ أحد** .. " [(٢)].

ح ــ كان لا يتأخر عن خدمة ومساعدة الحجاج وابن السبيل ، وتشير عدد من الوثائق إلى المسافرين والحجاج اليمنيين الذين يجتازون بلاد السراة من نجران إلى بيشة وزهران والطائف ، فهو دائماً يترجم سياسة الملك عبد العزيز ونصائحه التي تؤكد على وجوب حمايتهم من أي أذى يقع عليهم ، واستقبالهم في محطات سفرهم في نجران وعسير ، وتزويدهم بما يحتاجون من مؤن لمواصلة سفرهم[(٣)].

ط ــ كان لا يتورع في طلب الشفاعة من بعض المسؤولين في الدولة لمن يقصده في هذا الباب[(٤)]. ففي وثيقة بتاريخ (١٣٥٣/١٢/١٩هـ) من الأمير سعود إلى

---

(١) مقابلة مع عبد الله بن سليم بن فرج بخميس مشيط في (١٤٣١/١١/١١هـ) ، والذي أجرى المقابلة ودونها عبد الرحمن بن سعيد بن عبد الوهاب أبو ملحة . م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠ــ٢١ م) . ج٦ ، ص ٥٨ ــ ٨٩ .

(٢) المصدر نفسه للمزيد انظر،ابن جريس القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٢، ص ١٦٨ــ ١٦٩.

(٣) هناك مئات الوثائق التي تشير إلى حجاج اليمن في عهد الملك عبد العزيز ، والطرقات التي كانوا يسلكونها من نجران إلى الطائف ، وبعض المشاكل التي كانوا يواجهونها في أسفارهم ، وما قام به الشيخ أبو ملحة وأمثاله من أهل الجنوب من خدمات لأولئك الحجاج والمسافرين اليمنيين . ومثل هذا الموضوع جدير بالبحث والدراسة ، ونأمل أن نرى أحد طلابنا في برنامج الدراسات العليا في جامعة الملك خالد من يتخذ عنوان : حجاج اليمن في عصر الملك عبد العزيز ، موضوعاً لأطروحته العلمية .

(٤) أحياناً تطلب منه شخصياً الشفاعة والعفو في بعض الأمور الخاصة به ، ففي وثيقة بتاريخ (١٣٤٩/٦/٧هـ) من الأمير عبد الله العسكر إلى أبو ملحة يرجوه الصفح عن معاقبة أحد مواليه ، والمعروف باسم (سعيدان) فيقول : " ... من خصوص سعيدان لاشك أنه حصل منه بعض حمالة ، وحالة الخدم ما تخفى جنابك ، فلو كل من حصل منه حمال منهم عاتبناه ما بقي أحد بالخاطر ، يا أخي لابد يطيح على جنابكم ويستسمحك ، فأنت إن شاء الله تسمح عنه ، وتقبله ولا تعاتبه بما حصل منه .." م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٢٨ ، ص١٤٠ــ١٤١ .

أبو ملحة يخبره بقبول شفاعته في بعض الأمور التي طلب الشفاعة فيها فيقول: "... **ما أشرت إليه من طرف الذين يجونك يبون الأمان**[١]. **فأنت محل النفس ومابن في جميع الأمور .. عليهم**"[٢]. وأحياناً يسعى إلى الشفاعة عند وزارة المالية في بعض موظفي المالية ، وبخاصة الذين تقع عليهم بعض المشاكل ، ويقصدونه في ذلك . ففي وثيقة بتاريخ (٢٥/١٠/١٣٦٤هـ) من أبو ملحة إلى وكيل وزارة المالية يذكر له فيها الحالة الاقتصادية المتواضعة لبعض موظفي مالية أبها ويرجوه تحسين رواتبهم فقال : "... **يسترحمون الرفع إلى مقامكم لشمولهم بشفقة ورحمة سعادتكم بتعديل رواتبهم إلى رواتب يتمكنون معها من تأمين قوتهم الضروري . لهذا وما نراه من شدة ورداءة حالتهم**[٣] **، ومن كثرة عوائلهم ، ومن قلة رواتبهم مع غلاء الأسعار ، ولما هم قائمون به من الخدمة التامة ، فإنا نرفع لسعادتكم عريضتهم ونلتمس بتعديل رواتبهم إلى رواتب يتمكنون معها تأمين معائشهم الضرورية ...**" [٤].

---

(١) يجونك يبون : أي يأتون إليك ويطلبون الأمان من بعض ولاة الأمر .

(٢) م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٢٩ ، ص ٢٢٧ .

(٣) من يقرأ في مصادر القرن (١٤هـ/٢٠م) وما قبله يتضح له رداءة أحوال الناس الاقتصادية ، لقلة ذات اليد ، وصعوبة الحياة في شتى المناحي . وتلك عهود تختلف عن عصرنا الحاضر عندما زاد الخير عند الناس ، وصاروا في أوضاع اقتصادية جيدة لا تقارن مع حياة الأوائل . فلله الحمد والفضل والمنة .

(٤) م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٢٧ ، ص ١٦ .

٤ ـ إسهاماته الاقتصادية :

البحث في باب الاقتصاد في عصر رئاسة أبو ملحة لإدارة ماليات الجنوب موضوع واسع وكبير جداً ، ومن الصعب مناقشته في صفحات محدودة [(١)] ، ولهذا رأينا الإشارة إلى محاور اقتصادية رئيسة كان للشيخ عبد الوهاب دور فيها ، وهي على النحو التالي :

أـ كانت النشاطات الزراعية ، والرعوية ، والتجارية ، وممارسة الصناعات والحرف اليدوية المختلفة هي أعمال الناس الرئيسة ، ومن هذه المهن مجتمعة عاش وتعايش المجتمع الجنوبي . وكون أبو ملحة مسؤولاً مالياً للدولة في هذا الجزء المهم من البلاد السعودية ، ورأى أن من الأهمية بمكان أن يتصل بجميع الشرائح العاملة في شتى المجالات الاقتصادية . والناظر في واردات بيت مال الجنوب يجد أن زكوات الزروع والثروة الحيوانية والضرائب على التجارات والحرف المختلفة كانت من أهم المصادر الاقتصادية التي أسهمت في فترات تأسيس وبناء الدولة السعودية الحديثة [(٢)].

---

(١) التاريخ الاقتصادي في عسير وجازان ونجران والقنفذة والباحة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) يستحق دراسة موسوعية تخرج في عدة مجلدات ، وذلك لأهمية هذا الموضوع ، وكثرة ما يتوفر حوله من الوثائق والتفصيلات الجديدة وغير المنشورة . ونأمل من الله عز وجل أن يوفقنا في المستقبل حتى نعكف على هذا البحث القيم والجيد .

(٢) من خلال اطلاعنا على آلاف الوثائق حول التاريخ الاقتصادي في جنوبي السعودية ، وجدنا أن الثروات الزراعية والحيوانية والتجارية في هذا الجزء الجنوبي كانت عالية جداً ، ومن ثم فقد ساعدت بشكل إيجابي في دعم حكومة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل منذ أربعينيات القرن الهجري الماضي . إجراء بحوث عديدة في هذا الجانب مهمة جداً ، ونأمل أن نرى من المتخصصين في التاريخ الاقتصادي من يولي تلك الحقبة وهذا الموضوع كبير اهتمام في بحوثهم ودراساتهم الأكاديمية .

ب ـــ الدارس لعقود الأربعينيات إلى السبعينيات من القرن (١٤هــ/٢٠م) ، يجد بيت مال الجنوب والشيخ أبو ملحة كان لهما الذكر الأوسع في الوثائق الاقتصادية لتلك الحقبة . فلا يرسل عمال خرص الزكوات ، ولا تجبى الرسوم على معظم التجارات ، ولا تصرف النفقات ورواتب الموظفين ، ولا يمارس نشاط اقتصادي محدد مثل : البيع والشراء ، أو مراقبة الأسواق وما يتم التعامل به من نقود ، أو أسعار ، أو كيل ووزن وغير ذلك ، إلا كان لإدارة الماليات في الجنوب صلة مباشرة أو غير مباشرة بهذه النشاطات المالية الاقتصادية [(١)].

ج ـــ من باب الاستدلال وذكر حقائق علمية على بعض النشاطات الاقتصادية التي كان يقوم بها أبو ملحة وأهل عصره رأينا إيراد بعض الوثائق التاريخية التي تؤكد صحة أقوالنا[(٢)]. ففي وثيقة بتاريخ (١٣٥٠/٢/٢٤هــ) من مدير مال جازان حمد العبدلي إلى أبو ملحة يوضح له ما يقومون به من جهود في نواحيهم من أجل حفظ حقوق الحكومة، ومساعدة التجارات والتجار في التنقل فيقول: " .. **ما ذكرتم من أنه بلغنا أنكم تعطون[(٣)] سندات للتجار بأقل مما أخذتموه عليهم. حاشى ما سمعنا بهذا ، وحاشى حضرتكم أن تتزلوا إلى هذه الدرجة ، فلكم من الديانة والشرف ما يحميكم عن هذه**

---

(١) كل نقطة من النقاط الواردة أعلاه تحتاج إلى دراسة مستفيضة ، بل بعضها تستحق أن تكون موضوعاً لرسالة أو بحث علمي أكاديمي .

(٢) هناك مئات الوثائق التي تصور عصر الملك عبد العزيز اقتصادياً ، وكثير من هذه المصادر تشرح الأدوار التي كان يمارسها أبو ملحة وإدارة ماليات الجنوب في حياة أهل الجنوب الاقتصادية .

(٣) عبارة : (بلغنا أنكم تعطون ..) المقصود بذلك مالية أبها .

وغيرها [١]. لكن يا محب الذي بلغنا أنكم تأخذون على كل صنف شيء معلوم ، وهذه المعاملة فيها هضم لحقوق البلاد ، فإنه قد حصل عليهم من الأضرار والخسائر شيء لا يستهان به، وجلالة مولاي ــ أيده الله ــ حريص حد الحرص على ترويج التجارة بهذه البلاد لأجل مصلحة الطرفين ، وقد نزَّل العشور بهذه البلاد لأجل المصلحة العامة أولاً تكثر الواردات هنا . وثانياً : أنتم تستفيدون من كثرة الوارد إلى جهاتكم ، ولا يخفى أن جلالة مولاي أمر وأمره مطاع أن البضائع التي تصدر من هذه البلاد إلى أبها ونواحيها تؤخذ عليها تكملة رسوم الحجاز فقط ، أي مثلاً رسوم الحجاز على المنسوجات القطنية بالمئة خمسة عشر ، أمر جلالته أن نأخذ عشرة ، وأنتم تأخذون خمسة ، فيكون بالمئة (١٥) طبق رسوم الحجاز ، وهلم جرا .." [٢] ، وواصل الخطاب في وجوب التعاون بين ماليتي جازان وأبها من أجل تنشيط ودعم التجارة والتجار في أنحاء بلدان الجنوب ، وتجنب ظلم الرعية ، وجباية حقوق الدولة بطريقة نزيهة [٣]. ووثيقة أخرى عام (١٣٥٣هـ) من أمين مال نجران محمد سعيد كمال إلى أبو ملحة يشرح له سير بعض النشاطات التجارية هناك ، ويستفسر منه في بعض القضايا المالية والاقتصادية فيقول[٤] " ... **قد أجرينا الترسيم ابتداءً من يوم الخميس في أسواق نجران ، وقد بلغت الحاصلات فيه مئة وتسعة**

---

(١) لم نجد في الوثائق أن أبو ملحة حقق مكاسب خاصة من جباية أموال وعقارات ، وكان في استطاعته فعل ذلك ، لكن نظافة يده ونزاهته ، وولائه وصدق تعامله مع الله ثم مع سيده ، الملك عبد العزيز ، جعلته يبذل كل ما في وسعه لخدمة الصالح العام دون أن يحقق لنفسه مزايا مادية أو اقتصادية خاصة .

(٢) م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٣١ ، ص ١٨١ ــ ١٨٢ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) م . ابن جريس الوثائق العامة(ق١٤هـ/٢٠م) ج٣٥ ، ص١٣ــ١٤ .

وسبعين ريال بين تخريجة ورسوم ... والأمل إن شاء الله تتحسن الحاصلات أكثر من ذلك . أما البضائع الواردة، فاليوم نبدأ ترسيم الوارد منها ، نحن الآن في حاجة شديدة إلى مأمور مالي مقتدر لأجل جميع قيودات المالية موافقاً بمناسبة الطوابع والترسيم ...ونخاف من تعطيل الأعمال وعدم انتظامها ، كوشان التخريجية تستوفى على الحمل ريال ونصف [1] ، وقيمة الطوابع نستوفيها ، والدمغة أجرينا العمل بموجب تعليماتها ، والتمر الخارج إلى صعدة أخذنا عليه في المئة خمسة ، والتجار امتثلوا لهذا ... أرجو إفادتنا بما ترونه بخصوص فئات كوشان التخريجية والطوابع ورسم التمر الخارج إلى صعدة ، هل توافقونا على ذلك أم لا ، نرجو الإفادة سريعاً ... " [2].

وفي وثيقة بتاريخ (١٣٥٧/١١/٧هـ) من أبو ملحة إلى مأمور مالية محائل يبلغه باتباع العديد من الأنظمة الخاصة بالعملة والتسعيرة ، فيقول :" ... **بعد التحية قد أرسلنا إليكم الأمر المشترك بتوقيع سعادة الأمير وتوقيعنا بعنوان الأمير طرفكم مشتركاً معكم في عقد المجلس اللازم لتسعير حبوب الزكاة ، فاعملوا على إنفاذ مقتضاه على موجب العادة الجارية مع الحرص والمحافظة على مصلحة الخزينة الجليلة التي تقومون بتمثيلها في هذا الموقف كما هو المأمول في نشاطكم ونباهتكم . ومعلوم أن الريال الفرانسي لم يعد معترفاً به لدى الدوائر كعملة رسمية ، ودفعاً للتشويش ، فقد صدرت الأوامر بتسعير حبوب الزكوات بالقروش السعودية عن المد الواحد ، أي أنه لا يجري**

---

[1] كوشان التخريجية : سند يعطى للتاجر عند دفع رسوم أو ضرائب على تجاراته في الأسواق والموانئ وغيرها .

[2] م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٣٥ ، ص ١٣-١٤ .

تسعير الريال بالأمداد ، كما هو في السابق ، فمثلاً : لو فرضنا أن الدخن يساوي في سوق طرفكم كل مدين بريال عربي ، فيكون تسعيرة المد الواحد بخمسة قروش سعودي ونصف ، كذلك لو فرضنا أن مد الذرة يباع مفرقاً بسعر عشرة قروش نيكل الأربع ، فيكون تسعيره بأربعة قروش سعودي وخمسة وثلاثون بارة ، وهلم جرا . وحيال التوريد: يكون بديهياً أنكم تستوفون الريال العربي عن (١١) قرش سعودي ، والريال الفرنسي عن سبعة قروش سعودي ونصف ، وكل مخير في توريد أحد النوعين حسب رغبته على هذا الأساس .." [١].

ويتضح لنا من هذه الوثيقة أمور عديدة منها :

١ــ اشتراك أكثر من طرف في متابعة الأوضاع الاقتصادية في المنطقة ، والإمارة والمالية من أهم المؤسسات المشرفة على هذا الجانب الحيوي الحضاري .

٢ــ الحرص على تطبيق الأنظمة واللوائح السارية المفعول ، وإلغاء القوانين غير الفاعلة، مثل استبعاد الريال الفرنسي واستبداله بالعملة السعودية [٢].

٣ــ من هذه الوثيقة يتأكد لنا حرص أبو ملحة على متابعة سير الحياة المالية والاقتصادية في البلاد . وما فعله مع مأمور محائل من التوجيه والتنبيه ، هي

---

(١) م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٢ ، ص٢٢ .

(٢) للمزيد عن تاريخ العملة والنقود في عصر الملك عبد العزيز انظر: ابن جريس ، عسير في عصر الملك عبد العزيز ، ص٢٠٥ ــ ٢١٢ ، مبارك المعبدي . النظم المالية والإدارية في تهامة عسير (١٣٤٥ــ ١٣٥١هـ) (جدة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ، ص٩٣ وما بعدها .

طريقة عامة ومتبعة مع جميع موظفي المالية والاقتصاد في عموم جنوبي البلاد السعودية [(١)].

وكون الحاصلات الزراعية مصدراً هاماً لدخل الدولة وحيازة الناس نجد اسم أبو ملحة يرد في رسائل ووثائق عديدة تعكس رخاء البلاد زراعياً ، بل كان دائماً متلهفاً إلى سماع هطول الأمطار ووفر الإنتاج الزراعي في أنحاء الجنوب [(٢)]. ففي برقية مرسلة له من أبها وهو في الرياض بتاريخ (١٣٥٨/٦/٢٥هـ) تبشره بحالة الأمطار والمزارع في عسير ، فيقول المرسل: ".. **الشيخ عبد الوهاب : الأمطار على تهامة في المدة الأخيرة غزيرة جداً وكذلك الحجاز** [(٣)]. **وقحطان وبني مالك وعلكم الجميع أصابهم** [(٤)]. **أمطار جيدة ، أما شهران فقد لحقها أمطار جيدة ، ولكن السيول حدها بيوت ابن مشيط .. المزارع في عموم الجهات تبشر بمحصول جيد وافر..**" [(٥)].

---

(١) دراسة الأنظمة والقرارات والتعاميم التي تصب في خدمة التاريخ المالي والاقتصادي في جنوبي السعودية خلال عصر الملك عبد العزيز جديرة بالبحث والدراسة ، وذلك لجودة الموضوع ، وتوافر إعداد من الوثائق غير المنشورة والتي تصب في خدمة هذا العنوان المقترح .

(٢) تلهفه يعود لعدة أسباب : (أ) حبه لبلاد الجنوب وأهلها . (ب) وفرة الخيرات عند سكان هذه البلاد سوف يعود عليهم بالرخاء ، وعلى واردات بيت المال بالكم الوفير . (ج) نزول الغيث وما ينتج عنه من وفرة المياه ، واكتساء الأرض بالخيرات من مبهجات النفس عند أي إنسان ، مثل أبو ملحة وغيره من عامة الناس .

(٣) يقصد بالحجاز هنا : أي بلاد السراة الممتدة من شمال مدينة أبها إلى سروات غامد وزهران . وللمزيد عن تاريخ وحضارة هذه البلاد خلال العصر الإسلامي المبكر والوسيط والحديث والمعاصر، انظر: ابن جريس ، دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١ ــ ق١٠هـ/ ق٧ــ١٦ م) (مجلدان) ، للمؤلف نفسه . بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ــ١٢هـ/ ١٩ــ٢٠م)(الرياض ، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) (الطبعة الثانية) ، ص٩ وما بعدها .

(٤) وردت في الأصل : إصابتها .

(٥) م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٣ ، ص١/١٨٠ .

هـ . إسهاماته في التعليم والثقافة :

عبد الوهاب أبو ملحة لم يكن خريجي مدرسة أكاديمية، و لم يكن صاحب وثيقة أو شهادة علمية ، وإنما كان ذا مستوى تعليمي بسيط جداً [١]. ومع هذا كان على قدر عال من الحكمة والدراية والخبرة والفطنة والذكاء [٢] ، وهذه صفات مكنته من الظهور على مسرح التاريخ ، فكان ذا إسهامات متعددة ، أشرنا إلى بعضها في صفحات سابقة، ولازال بعضها مثل : دوره في الحياة العلمية والتعليمية في بلدان جنوبي السعودية [٣]. ومن جهوده في هذا الباب ما يلي:

١ــ كان على صلة مباشرة بالقضاة ورجال الدعوة في منطقة عسير ، أمثال: سليمان بن جمهور ، وفيصل المبارك ، وعبد الله يوسف الوابل وغيرهم ، فيتصل بهم شفهياً وكتابياً ويتشاور معهم في العديد من الجوانب التعليمية والدعوية [٤]. بل كان عموم القضاة في أنحاء منطقة عسير وما جاورها يراسلونه ويستعينون به في قضاء كثير من الأمور في دوائرهم ونواحيهم مثل:

---

(١) هذا ما سمعناه من بعض أهله وقرابته ، وممن عرفه وعاصره .

(٢) لمزيد من صفات أبو ملحة انظر الفصل الأول من هذا الكتاب .

(٣) لمزيد من التفصيلات عن تاريخ التعليم والتعلم في عسير وما جاورها ، انظر: ابن جريس ، تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤ــ ١٣٨٦هــ). (طبعة ١٤١٦هــ/١٩٩٥م) ، ج١ ، ص٢١ وما بعدها . تاريخ التعليم في عصر الملك عبد العزيز في جازان ونجران والقنفذة والباحة من الموضوعات المهمة والتي لم تدرس وتستحق أن تكون عناوين كتب أو رسائل علمية أكاديمية، ونأمل أن نرى من الباحثين والأكاديميين في جامعات الجنوب من يخدم مثل هذه الجوانب العلمية أهمية في بحوثهم وأطروحاتهم .

(٤) هؤلاء القضاة الذين أشرنا إليهم أعلاه ليسوا إلا نموذج من قضاة (عسير وجازان ونجران والقنفذه) الذين كانوا ذا تأثير في المجتمع وعلى علاقة بجميع المسؤولين في المناطق الجنوبية . والشيخ أبو ملحة على رأس أولئك المسؤولين المؤثرين جداً في خدمة الناس في شتى المجالات . وللمزيد عن تراجم قضاة الجنوب في عهد الملك عبد العزيز انظر: هاشم النعمي . شذا العبير من تراجم علماء وأدباء منطقة عسير(طبعة ١٤١٥هــ) ، ص١٢ وما بعدها ، عبد الله محمد الزهراني . تاريخ القضاء والقضاة في العهد السعودي (طبعة ١٤١٨هــ) ، ج٤ ، ص٥١٢ وما بعدها . ج٦ ، ص٢ وما بعدها . وموضوع تاريخ القضاء في جنوبي السعودية خلال القرنين (١٣ــ١٤هــ/١٩ــ٢٠م) ، جدير بالبحث والتحليل والدراسة .

صرف رواتبهم ورواتب موظفيهم ، وتسهيل أحوال بعض أئمة المساجد ومؤذنيها [١]. وحل مشاكل المدرسين والقراء الذين يقومون بتعليم القرآن والعلوم الشرعية في بعض المدن والقرى الجنوبية السعودية[٢].

٢ـــ عقيدة أبو ملحة الإسلامية ، ومسؤوليته الاجتماعية والإدارية جعلته يحرص على جميع أداء عباداته الدينية ، بل نجده في بعض الوثائق يرسل الخطابات العديدة إلى موظفي الماليات ويحثهم على أداء صلواتهم جماعة وفي المساجد . ووثائق أخرى تشير إلى علاقته برجال الدعوة أو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو لا يتأخر عن استقبالهم ، وقضاء جميع حوائجهم والمسارعة في صرف رواتبهم واستحقاقاتهم ، أو الدفاع عنهم عند الإدارات الحكومية المختلفة . ففي وثيقة بتاريخ ربيع الثاني (١٣٦٤هـــ) تذكر أسماء مجموعة من أعضاء البعثة العلمية في عسير ، وهم: الشيخ سليمان بن أحمد رئيساً للبعثة ، وعضوية كل من: حمد الحرقان ، وعبد الله بن عبد العزيز ، ومحمد الطيب ، ويوسف بن أحمد ، ومحمد أمين السناري ، الذين كانوا على صلة

---

(١) هناك عشرات المراسلات والوثائق بين أبو ملحة وبعض قضاة المنطقة الجنوبية ، وجميع هذه الوثائق تدور في فلك العلم والتعليم وحل قضايا الناس . مثل: تقسيم المواريث ، ومعرفة الفتاوى الشرعية في العديد من المسائل الفقهية ، وإصدار الصكوك الشرعية الخاصة ببعض المؤسسات الحكومية ، وتسهيل أمور بعض موظفي الدولة وبخاصة ذوي الاختصاص بالدعوة والعلوم الشرعية. لمزيد من التفصيلات. انظر بعض الحقائق الواردة في ملحق الوثائق المنشورة في نهاية هذا الكتاب، انظر أيضاً الشهادة رقم (٩) في الفصل السادس من الكتاب نفسه. أنظر أيضاً ، م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هــ/٢٠م) ، ج٣١ ، ص١٢٠ــ١٢٢ ، ١٧٦ــ١٧٧ .

(٢) نلحظ بعض الوثائق من قضاة منطقة عسير إلى أبو ملحة وفيها شفاعة لبعض الأيتام للالتحاق بالمدارس الحكومية مع الحرص على منحهم بعض المنح المالية ، وكان الشيخ عبد الوهاب لا يتأخر في تسهيل أمور أمثال هؤلاء الطلاب ، وذلك حباً منه لخدمتهم ، وكذلك ترجمة سياسة حكومة الملك عبد العزيز في مساعدة فئات الفقراء والأيتام والمحتاجين .

بالشيخ أبو ملحة من حيث صرف رواتبهم واستحقاقاهم المالية أثناء ممارستهم أعمال الدعوة وتعليم الناس أمور دينهم في نواحي عديدة من منطقة عسير[(١)].

٣ــ القارئ لتاريخ (عسير ، ونجران ، وجازان ، والباحة والقنفذة) خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هــ/٢٠م) يجد أنه قدم إلى هذه المناطق عدد من الرحالة والباحثين والمعلمين أمثال: فيلبي ، وفؤاد حمزة ، وفيليب ليبتر ، ومحمد عمر رفيع ، والمهندس توتيشل وغيرهم [(٢)] ، وجميعهم اتصلوا بأبي ملحة ، بل معظمهم استضافهم في مترله بخميس مشيط أو أبها ، وقام بواجب الضيافة تجاههم [(٣)]. وجميع هؤلاء كانوا مدعومين من حكومة الملك عبد العزيز للقيام ببعض النشاطات العلمية في البلاد الجنوبية وغيرها ، ولهذا فالشيخ عبد الوهاب ساندهم ووفر لهم كل الإمكانات التي يحتاجونها في

---

(١) م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هــ/٢٠م) ، ج ٢٧ ، ص١٢ . ونجد في وثيقة بتاريخ (١٣٦٧/١٢/١٧هــ) من أبو ملحة إلى وكيل وزارة المالية حول تشكيل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمطاوعة ، ويذكر تفصيلات مطولة عن أوضاعهم الإدارية ، ومباشرهم لأعمالهم ، مع الإشارة إلى بعض استحقاقاهم ثم يختم خطابه بقوله : "... لذا فإني أرجو صدور أمركم الكريم بما يجب نحو كل ما نوهنا عنه ليتم سير العمل على الطريقة التي لا تؤدي إلى التشويش والارتباك في القيود ..." . م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هــ/٢٠م) ج٢ ، ص٢٣٨ . أما تاريخ الدعوة والدعاة في جنوبي البلاد السعودية خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هــ/٢٠م) ، فهو موضوع جدير بالبحث والدراسة والتحليل .

(٢) لمزيد من التفصيلات عن هؤلاء الرحالة ، وأسماء كتبهم ، وجهودهم تجاه المناطق الجنوبية ، انظر: ابن جريس . بلاد القنفذة خلال خمسة قرون ، ص١٩٢ ، ١٩٧ . للمؤلف نفسه . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ونجران) ، ج٣ ، ص٣٤٦ــ٣٥٩ .

(٣) انظر الشهادة الأولى في الفصل السادس من هذا الكتاب .

جولاتهم، وقد ورد في كتب بعضهم ذكر لجهود أبو ملحة تجاههم أثناء تواجدهم في المناطق الجنوبية[١].

وفي عدد من الوثائق نجد المستر توتيشل[٢] ، يصل إلى عسير في ستينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ونجد وزارة المالية تخاطب أبو ملحة بتسهيل مهمته ، ففي خطاب بتاريخ (١٠/١٠/١٣٦١هـ) من وكيل وزارة المالية إلى الشيخ عبد الوهاب يقول فيه : " .. **قد أعتزم المستر توتيشل السفر إلى طرفكم ومعه رفقاءه البعثة الزراعية لعمل رحلة علمية زراعية ، فيقتضي تسهيل ما يلزم لإنجاز ذلك لهم ، والقيام بكل ما فيه تأمين راحتهم** .. "[٣]. . وفي رسالة أخرى بتاريخ (١٥/١/١٣٦٢هـ) من أبو ملحة إلى مدير مال جازان يعمده بخدمة وتوفير بعض الطلبات لتوتيشل ، فيقول:".. **نشير إلى خطابكم رقم (٩٨٩٧ في ١١/١١/١٣٦١هـ) المتضمن صرفكم للثلاثة صناديق البترين وواحد جالون زيت للسيارة الصغيرة المرسلة لطلب الإمارة طرفكم للمستر توتيشل ، نشعركم باعتماد قيد ذلك مصرفاً رسمياً**.. "[٤].

---

(١) المصدر نفسه . دراسة جهود الرحالة والمعلمين في جنوبي السعودية خلال عصر الملك عبد العزيز آل سعود جديرة بالبحث والتدوين .

(٢) توتيشل : أحد الرواد الأمريكيين الذين جاءوا إلى جزيرة العرب في أوائل النصف الثاني من القرن الهجري الماضي ، من أجل البحث عن المياه والمصادر الطبيعية . وقد قام بعدد من الرحلات في الجزيرة ، ودون الكثير من التفصيلات التي جمعها في كتابه الموسوم بـ : المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية . انظر ابن جريس ، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون ، ص١٩٧- ١٩٩ .

(٣) م. ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٣ ، ص٢ .

(٤) م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج١ ، ص ١٤٩ . وفي وثيقة أخرى من أبو ملحة إلى أمير عسير بتاريخ (٢٨/٣/١٣٥٩هـ) يوضح له بيان بأعداد الجمال والحمير المرسلة مع توتيشل لنقله ورفاقه في نواحي عديدة من المنطقة الجنوبية . المصدر: م. ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج١ ، ص١٥٠ .

٤ــ هناك جهود أخرى للشيخ أبو ملحة في مجال التربية والتعليم وبخاصة في كل ما يصلح لسير الدراسة في المدارس النظامية في جميع أنحاء البلدان الجنوبية . ونجد عشرات الوثائق التي تصور اهتمامه وسؤاله عن المعلمين والطلاب على حد سواء ، بل كان لا يتأخر عن صرف رواتبهم واستحقاقاتهم المالية ، وأحياناً يلجأ إليه بعض مدرسي المدارس طلباً للمساعدة في بعض أمور العمل أو الحياة العامة فلا يتأخر عن مساعدة من يحتاجه [١].

كان لمدرستي أبها وخميس مشيط الأميريتين النظاميتين حظوة كبيرة عند الشيخ عبد الوهاب ، وذلك لقربهما من مقر إقامته في المدينتين الآنفتي الذكر ، ثم صلته الشخصية ببعض معلميها الفضلاء أمثال: عبد المالك الطرابلسي ، ومحمد أحمد أنور وغيرهما [٢]. وبعض معاصري أبو ملحة أو من أدركه يروي لنا شيئاً من جهوده تجاه مدراس أبها والخميس ، فأحد مواليه يذكر أنه بنى مدرسة الخميس على نفقته الخاصة، بل كان يتابع سيرها ويسأل عن احتياجاتها فلا يتأخر عن

---

[١] م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هــ/٢٠م) ، ج٢ ، ص١٣٠ــ١٣١ . ج١٨ ، ص٢٣٣ . ج٢٠ ، ص١٣٢ ــ ١٣٣ . ج٣٠ ، ص٨ــ١٢ ، ٨٩ ــ ٩٠ . ج٣٩ ، ص١٧٥ . ج٥١ ، ص١٣٥ــ١٣٦ .

[٢] للمزيد عن تاريخ التعليم في مدينتي أبها وخميس مشيط في عصر رئاسة أبو ملحة لإدارة ماليات الجنوب ، انظر، ابن جريس ، تاريخ التعليم في منطقة عسير ، ج١ ، ص٢٤ وما بعدها ، للمؤلف نفسه . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير أنموذجاً) ، ج١ ، ص ٨ وما بعدها ، للمؤلف نفسه . من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية (محمد أحمد أنور) ، ص١٦ وما بعدها . والحديث عن رموز التعليم في أبها والخميس بل في أنحاء المناطق الجنوبية خلال عصر الملكين عبد العزيز ، وسعود بن عبد العزيز آل سعود تحتاج إلى بحث وإسهاب من أجل اطلاع جيلنا الحاضر على الكثير من فضائل أولئك الرجال الحميدة في شتى مناحي الحياة . آمل أن نرى من طلابنا في برامج الدراسات العليا في أقسام التاريخ بأبها ونجران وجازان من يتولى دراسة حياة تلك القامات وما قدموا لنا وللأجيال السابقة لنا من محامد يصعب حصرها . فرحمهم الله رحمة الأبرار وأسكنهم جنات النعيم . آمين .

توفيرها [١]. وفي رواية أخرى من أحد طلاب ثم معلمي مدرسة الخميس [٢] ، الذي أورد بعض التفصيلات عما قدم الشيخ أبو ملحة لمدرسة الخميس فيقول: **".. خص هذه المدرسة بالكثير من الرعاية والاهتمام من فرش وحصر وحفر بئر وتوصيل مياهها إلى المدرسة من أجل الوضوء وإقامة الصلاة. وأنشأ حديقة صغيرة فيها بعض الزهور الفواحة وبعض الأشجار التي نعمنا بها طلاباً ومعلمين ، كل ذلك قد عاصرته طالباً ومعلماً** "[٣]. ورواية ثالثة تشير إلى بعض الجهود الثقافية والتدريبية التي كان يقوم بها أبو ملحة تجاه شباب أبها والخميس بل عموم المنطقة ، فذكر زيارته المتكررة وتشجيعه لطلاب ومعلمي مدارس الخميس وأبها ، ثم يقول :".. **وقد حرص على تدريب وتوظيف المتعلمين من شباب المنطقة في حينه سواءً بإدارة المالية أو فروعها ، وكذا اللجان المشكلة لزكاة الأغنام والمنتجات الزراعية ، وكان ذلك عاملاً مؤثراً في بروز الكفاءات المحلية ونجاحها سواءً في الأعمال المالية أو الإدارية بالمصالح الحكومية التي اتسع نطاقها فيما بعد** ..." [٤].

---

(١) مقابلة مع سعد بن سعيد بن مروزق المعروف بـ (أبو حجر) في مدينة خميس مشيط في (١٤٣١/١١/١٣هـ). والذي أجرى المقابلة ودونها حفيد الشيخ أبو ملحة (عبد الرحمن بن سعيد بن عبد الوهاب) . المصدر: م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٥هـ /٢٠م ــ ٢١ م)، ج٦ ، ص ٥٦ ــ ٥٧ .

(٢) وهو الأستاذ الكريم إبراهيم بن محمد بن فائع الألمعي . وللمزيد عنه انظر كتابنا: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير والقنفذة) ، ج٢ ، ص ١٧ــ٢٤٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٥٢ . انظر أيضاً الشهادة رقم (٢) في الفصل السادس من هذا الكتاب.

(٤) انظر الشهادة رقم (٧) في الفصل السادس من هذا الكتاب ، من تدوين الأستاذ محمد بن عبد الله بن حمِّيد . ودور الشيخ عبد الوهاب في توجيه وتدريب والإشراف على موظفي الماليات في الجنوب يستحق إلى أن يكون بحثاً أو رسالة علمية ، وذلك لما يتوفر حول هذا المحور من مادة ووثائق تاريخية جديدة وغير منشورة . ونأمل أن نرى أحد طلاب الدراسات العليا في قسم التاريخ من يتخذ هذا العنصر عنواناً لأطروحته العلمية .

وأهالي الجنوب وبخاصة أعيانها وموظفيها ، بل كبار موظفي الدولة يقدرون جهود أبو ملحة في خدمة المصلحة العامة التي يبذلها في مساعدة الناس وحفظ حقوقهم وقضاء مصالحهم[١] ، إلى جانب قيامه بواجباته تجاه دينه وولاة أمره[٢]. وقد رأينا في هذا السفر ، وفي وثائق أخرى كثيرة وهي تصور وعي وإسهامات هذا الرمز السعودي الجنوبي [٣].

وفيما يتعلق بالعلم والتعليم نجد وثيقة بتاريخ (١٣٥٧/١/١٦هـ) من مدير المعارف العام ، طاهر الدباغ ، إلى أبو ملحة يثني على جهوده ويشكره على رعايته ومتابعته لمدرسة أبها ، فيقول: " ... **بعد التحية والإكرام ، وبعد فإن التشجيع الذي تلقاه مدرسة أبها ومعلميها من كرم أخلاقكم يجعلنا نقدر لكم هذه الأخلاق الفاضلة أعظم تقدير ، ونلهج بالثناء العاطر على أريحيتكم ، ونرجو دوام رعايتكم للمدرسة حتى تسير في طريق النجاح ، إن شاء الله تعالى ، بحسن مساعيكم وتشجيعكم ، والسلام ...**"[٤].

---

(١) هناك عشرات الخطابات من مسؤولين ، ومؤسسات وأفراد إلى أبو ملحة يثنون فيها على جهوده المتنوعة في مجالات مختلفة .

(٢) مئات الوثائق تصور تفاني أبو ملحة في خدمة بلاده وولاة أمره . ويوجد الكثير من هذه المصادر ضمن مكتبة الباحث .

(٣) المصادر نفسها .

(٤) م . ابن جريس ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٣٠ ، ص١٤٤ ـــ ١٤٥ ، ١٥٠ـــ١٥١ . ولازال هناك عدد من الخطابات المتبادلة بين أبو ملحة وكثير من القائمين على التعليم في المناطق الجنوبية أو في نجد والحجاز وجميعها تدور حول خدمته المؤسسات التعليمية في البلاد . وتاريخ التعليم في الجنوب في عصر الملك عبد العزيز وبخاصة في نجران وجازان والقنفذة والباحة يحتاج إلى دراسات علمية أكاديمية ، وهي مسؤوليات الجامعات المحلية في هذه النواحي.



ثالثاً : رأي ووجهات نظر :

من خلال دراسة وتدوين هذا الفصل ، خرجنا بعدد من وجهات النظر ، التي رأينا ذكرها في النقاط التالية :

أ ــ هذا القدر من الإسهامات المطروحة في هذا القسم عن رجل واحد من مناطق الجنوب (عبد الوهاب أبو ملحة) لا يعني أنه لم يكن هناك رجال أمثاله لهم باع جيد وكبير أثناء التأسيس والبناء للدولة السعودية الحديثة . بل يوجد عشرات بل مئات الأعلام الذين كان لهم محامد وفضائل كثيرة ، وهذا ما سمعناه أو قرأناه في الوثائق عنهم أو عن بعضهم [١]. وفي اعتقادنا أن رئاسة أبو ملحة لإدارات ماليات الجنوب كانت هي السبب الرئيس لذكره بشكل واسع في مئات بل آلاف الوثائق ، وذلك لأهمية المال والاقتصاد في بناء الأمم والحضارات [٢].

ب ــ من خلال عدد من الوثائق التي تشرح إسهامات أبو ملحة في العديد من المجالات ، نستطيع أن نخرج من هذه الوثائق نفسها بحقائق وشروحات عامة تصور الجانب التاريخي والحضاري العام لعموم البلدان الجنوبية . [٣]

ج ــ ما ذكر من حقائق ومعلومات في هذا الفصل تحمل في طياها بعض الإشارة عن تاريخ عامة الناس ، وهذا الجانب مهم جداً ، لأن عموم الدراسات

---

(١) إذا أمد الله في العمر فسوف نخرج ــ بإذن الله تعالى ــ كتاباً في عدة مجلدات عن أعلام المناطق الجنوبية خلال القرنين (١٣ــ١٤هـ/١٩ــ٢٠م) .

(٢) مسؤولية أبو ملحة عن المال ، وهو عصب الحياة ، جعلته يفوز بنصيب الأسد تدويناً وذكراً في آلاف الوثائق التاريخية .

(٣) المتأمل في نصوص كل وثيقة أشارت إلى بعض أعمال وجهود أبو ملحة يجدها لا تخلو أيضاً من حقائق أخر تصور جزئيات من تاريخ وحضارة المناطق الجنوبية .

التاريخية والمؤرخين يهتمون بعلية القوم أو صانعي القرار في كل بيئة ومجتمع ، ونحن نتعطش إلى معرفته تاريخ بسطاء الناس وعامتهم[١].

د ــ المحاورة الرئيسة في هذا الفصل جديرة بالبحث والتدوين الموسع عن عموم أفراد ومجتمعات الجنوب . ومن يقوم على دراسة أي عنصر خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هــ/٢٠م) فإنه سوف يجد قدراً لا بأس به من المصادر والوثائق الجديدة في بابها وتفصيلاتها [٢].

---

(١) في مئات الوثائق التي اطلعنا عليها أثناء تدوين هذه الدراسة أنها لا تخلو من معلومات دقيقة وجميلة فيما يخص حياة وتاريخ طبقات المجتمع البسيطة والعامة . ونأمل أن نلتفت نحن معاشر الباحثين إلى دراسة وتحليل وفهم تاريخ عامة الناس وليس عليتهم .

(٢) حبذا أن نرى من الباحثين وطلاب الدراسات العليا في جامعاتنا المحلية من يلتفت للتاريخ الحضاري لجنوبي البلاد السعودية خلال عصور التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث والمعاصر ، فجميع تلك الحقب تستحق دراسات علمية أكاديمية رصينة .